25
سلسلة
حكاية مصر
الهيئة العامة لقصور الثقافة
حكاية
حي مصر القديمة
د. خالد أبو الروس

حكاية
حى مصر القديمة
دراسة تاريخية

د. خالد حامد السيد أبو الروس

حكاية حي مصر القديمة

دراسة تاريخيـة

تمهيد
مصر القديمة قبيل القرن السابع عشر

قبل الخوض في دراسة مدينة مصر القديمة (وريثة الفسطاط) خلال القرن السابع عشر الميلادى، رأينا أن نضع أيدينا على بعض النقاط المهمة حتى تتضح لنا الصورة.

نقول إن الإنسانية قد عرفت منذ بواكير الحضارات الأولى التى قامت في حضن الأنهار سواء الحضارة الفرعونية أو حضارة بلاد الرافدين وفينيقيا أو حضارات الإغريق والرومان فكرة بناء المدن. فعندما هبط المصرى القديم من فوق الهضبتين الشرقية والغربية فراراً من شبح الجفاف الذى أرخى سدوله عليهما، واستقر حول ضفتى وادى النيل، فعرف الزراعة ونعم بحياة الاستقرار، فعندئذ بدأ يفكر في بناء القرى الريفية وما تبع ذلك من تشييد المدن التى ضمت العديد من هذه القرى.

وكذلك لا ننكر فضل الحضارة الإغريقية فى هذا ، فقد قدمت لنا العديد من المدن أمثال مدينة موكيناى وكورنثا وأثينا وإسبرطة وغيرها ، فكانت كلمة مدينة عندهم تعنى (Polis) أى تجمع سكانى وسياسى يضم عدة قبائل مختلفة[١] . صحيح أن الإغريق قد أخذوا فكرة الـ (Polis) من السومريين الذين سبقوهم فى هذا المضمار بأكثر من ألفى عام أى سنة ٣٠٠٠ ق.م، ولكن يحسب للإغريق أنهم طوروا نظام المدينة وجعلوا لها شخصيتها المستقلة .

وعندما ظهر الإسلام وقامت الدولة العربية الإسلامية ، وتوحدت الجزيرة العربية تحت لوائها بعدما عاش العرب قروناً طويلة فى حروبٍ وتناحر وفُرقة قبل الإسلام . وما تبع ذلك من فتوحات إسلامية وشعور الفاتحين بحاجتهم إلى الاستقرار فى تلك الأقاليم التى فتحوها . فشرعوا فى تأسيس المدن الجديدة التى كانت أشبه بالمعسكرات الحربية واتخذوها عواصم لأقاليمهم وأطلقوا عليها لقب " الأمصار " فكانت البصرة والكوفة أولى الأمصار الإسلامية[٢] .

فكانت المدينة النبوية أو المنورة - التى حلت محل يثرب بعد نزول النبى صلى الله عليه وسلم بها واتخذها داراً له - أول ظهور للفظ " مدينة فى الإسلام " ، فقد ورد أن اللفظ أصله أرامى والمقطع (دين) يعنى العدل والديان فى اللغات العربية والآرامية والعبرية هو القاضى فبذلك يطلق لفظ مدينة على المكان الذى يطبق فيه العدل أو المكان الذى توجد فيه الحكومة ومقر ممثلى الدولة أو المكان الذى يكون فيه القضاء[٣] .

وتخطيط المدينة الإسلامية جاء مبسطًا بعيدًا عن التعقيد، فكان الفاتحون يبدأون أولا بالجامع ودار الإمارة والسوق، وفي أحيان كثيرة كان الجامع والسوق دارا للإمارة، فالمسجد عموما هو حجر الزاوية فى المدينة الإسلامية[٤].

ظهر ذلك بوضوح فى مدينة الفسطاط أولى عواصم مصر الإسلامية التى ضمرت بمرور الأيام وحلت محلها مدينة أخرى أخذت لفظ مدينة مصر أو مصر العتيقة ومصر القديمة كما سنرى.

الفسطاط: ظهورها، نموها، أفولها:

شرع عمرو بن العاص بعد عودته من الإسكندرية وإتمام فتح مصر فى تخطيط الفسطاط عام ٢١هـ/٦٤١م لتكون أولى عواصم مصر الإسلامية وهى تقع إلى الشمال من مدينة بابليون العتيقة بمسافة ٤٢٠ متراً حيث عسكرت قوات عمرو للمرة الأولى. وذلك بهدف جعلها دار مستقر للقبائل العربية، وقد عهد عمرو إلى أربعة من المسلمين بالفصل بين القبائل فى تنظيم خطة كل منها، وهم معاوية بن حديج التجيبى وشريك بن سمى الغطيفى وعمرو بن قحزم الخولانى وجبريل بن ناشرة المعافرى.

وتم تقسيم الفسطاط على هيئة خطط مثل خطة أهل الراية أى حاملى الأعلام والمراد هنا ألوية القبائل - حيث كان لكل قبيلة لواء يحمله رئيسها، وكان أصحاب الألوية رؤساء الجند لذلك كانت هذه الخطة تسمى خطة الرؤساء[٥]. وخطتا الحمراء الدنيا والقصوى[٦]. وكانت أكبر الخطط تجيب وعطيف وخولان ومعافر

وكلها قبائل يمنية، وما إن أخذت تكتمل هذه الخطط حتى أخذ الناس يتسابقون فيها على بناء الدور والمساجد(٧).

وقد خالفت بتلر Butler هذا الرأى فقالت " والظاهر أن الذي قام بتنفيذ هذا الأمر - أى تخطيط الفسطاط - إنما هم القبط لدرايتهم بفن العمارة التي كان يجهلها العرب ". ولكن يرى الكثير من المؤرخين وعلى رأسهم عبد الرحمن زكي أن تخطيط الفسطاط في ذلك العهد لم يكن من التعقيد بحيث يحتاج إلى معماريين مهرة من القبط(٨).

وقد عمرت الفسطاط واتسعت حتى قال ابن حوقل إنها " مدينة كبيرة نحو ثلث بغداد ومقدارها نحو فرسخ للمسافة(٩) على غاية العمارة والخصب والطيبة واللذة ذات رحاب في محالها وأسواق عظام ومتاجر فخام .... "(١٠). ويرى أندريه ريمون أن مساحة الفسطاط قد بلغت زمن الفاطميين نحو ٣٠٠ هكتار، (أى ٧٤٠ فدانًا)(١١). في حين قدرها بعض الجغرافيين المحدثين بنحو ٢٧٠٠ مترًا(١٢).

وقد امتاز موقع الفسطاط بحصانة طبيعية، يتضح لنا ذلك من خلال تحديد مسار المدينة طبيعيًا فهي تمتد شمالاً حتى كوم الجارح وقنطرة السد منطلقة جنوبًا من الرصد " الذى كان قائمًا على ذروة الشرف المطل على بركة الحبش " - وحدّها الغربي هو الشاطئ الأيمن لنهر النيل والذى كان ينتقل على تتابع السنين مع تنقل الشاطئ نحو الغرب والحد الشرقي ينتهي إلى القرافة(١٣).

وكثر السكان بالفسطاط حتى إننا نجد المقدسي في القرن الرابع الهجرى لم يكتف بما سمعه عن مدى اكتظاظها بالسكان فأراد أن يتأكد من ذلك فقال " وسمعتهم يذكرون إنه يصلى قدام الإمام يوم الجمعة نحو عشرة آلاف رجل فلم أصدق حتى خرجت مع المتسرعة إلى سوق الطير فرأيت الأمر قريبا مما قالوا ..... "(١٤). ويستخلص أندريه ريمون رقمًا لتعداد سكان الفسطاط خلال القرن الرابع الهجرى أيضًا من وسط العديد من التقديرات ، ويرى أن عدد سكانها آنذاك يقترب من ١٢٠ ألف نسمة(١٥).

ويرصد خالد عزب حال الفسطاط في العصور التالية من النشأة فقد ازدهرت في العصر الأموى على يد الوالى مسلمة بن مخلد الأنصارى " ٤٧ -٦٢هـ٦٦٧ / - ٦٨١م " الذى بنى مقياس الروضة ودارًا للصناعة وكذلك على يد عبد الملك بن مروان " ٧٩- ٨٩هـ٦٨٢ / - ٧٠٥م " الذى شهدت الفسطاط فى عهده نهضة عمرانية كبيرة(١٦).

واستمر عمران الفسطاط وازدهارها حتى زمن الفاطميين وبالتحديد منذ بداية حكم المستنصر " ٤٢٧-٤٨٧هـ١٠٣٥ / - ١٠٩٤م " ، فيرى المقريزى وغيره من المؤرخين أن تدهور الفسطاط حدث نتيجة سببين :-

* الشدة المستنصرية وما تبعها من خراب ودمار حل فى ربوع البلاد .

* حريق الفسطاط فى عهد وزارة شاور بن مجير السعدى عام ٥٦٤هـ١١٦٨ /م أثناء قدوم عمورى ملك الأفرنج - أو مرى كما

نعته ابن أبي السرور البكري - ونزل في جموعٍ على بركة الحبش " يريد الاستيلاء على مملكة مصر وأخذ الفسطاط والقاهرة "(١٧) . فأضرمت النار في الفسطاط حتى احترقت ، واستولى بعد ذلك أسد الدين شيركوه على الوزارة ، ولكنه لم يمكث فيها طويلاً إذ توفى وخلفه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي الذى عمّر الكثير من خرائب الفسطاط ، فلم يحذو حذو سابقيه من بناء ضواحٍ جديدة وترك آثار الماضى ، بل عمل جاهداً على إحياء المدن القديمة ، فقد عقد العزم على إحياء مدينة مصر ، نعنى الفسطاط السابقة التى عمها الخراب وتراكمت عليها الأتربة(١٨) . فضرب سوراً في استحكامات بدر الجمالي القديمة ، وقيل إنه مد سور بدر الجمالي شمالاً من نهايته عند الخليج على النيل حيث موضع حصن المقس ، أما من الجهة الشرقية فقد مد الحائط القديم جنوباً حتى باب الوزير قرب القلعة .

ويرى ستانلي لينبول " أن فكرة الأسوار لم تكن إلا تطوراً لأسوار بدر الجمالي القديمة "(١٩) . ولكن رغم ذلك لا ننكر فضل صلاح الدين في وقف النزيف الذى حل بمدينة مصر منذ عهد الفاطميين . فقد كان صلاح الدين مشغولاً بمشروعاته الحربية في بلاد الشام لدرء خطر الصليبيين عن ديار الإسلام .

وخلال العصر المملوكى نجد أن مدينة مصر [القديمة] قد حدث اهتمام بها من جانب بعض السلاطين وجاء ذلك مرهوناً بأحوال البلاد الأمنية . فالناصر محمد بن قلاوون شيد بها بعض المبانى الدينية كالجامع الجديد الناصر قرب فم الخليج ، وكذلك انصب

اهتمام الغورى حول ذات المنطقة فقام بهدم قناطر المياه القديمة وأعاد تشييدها من جديد عند موردة الخلفاء قرب الجامع الجديد مما وفر المياه للمنطقة التى دبت فيها الزروع والبساتين بعد السنوات العجاف التى شهدتها وحل بها السكان بعد الهجر .

ولما أقبل العصر العثمانى اتخذت مصر القديمة منعطفا آخر ، فقد درج على وصفها بلقب [حى] رغم احتوائها على ميناء أشبه بخلية النحل من كثرة الرواج التجارى له كما سنرى . وقيل إن الخراب قد عمّ أجزاء كبيرة منها وقل نشاطها واتخذت بولاق دور الزعامة بوصفها ميناء القاهرة الأول . فهل صحيح أن مصر القديمة قد توارى دورها خلال العصر العثمانى خاصة القرن السابع عشر وهى الفترة المعنية بالدراسة ؟ وهل عم الخراب تلك المدينة وريثة الفسطاط ذات الماضى التليد ؟ ولم تكن هناك ثمة محاولة للعمران من جانب الحكومة (الإدارة العثمانية) ؟

هذه بعض التساؤلات سوف نحاول الإجابة عنها فى جوٍ من الإنصاف بغية الوصول إلى الحقيقة التاريخية وكشف اللثام عن مدينة كانت ذات ماضٍ جميل حفها الوادى الأمين بالرعاية والنماء عبر العصور التاريخية المتلاحقة .

الهوامش

(١) سيد الناصرى: الإغريق تاريخهم وحضارتهم. دار النهضة العربية، القاهرة، ط١، ١٩٧٦، ص٩٧

(٢) أيمن فؤاد سيد: المدينة الإسلامية والدراسات الحديثة التى تناولتها. بحث فى المجلة التاريخية. العدد ٤٠ لسنة ١٩٩٧، ص٤٧

(٣) أيمن فؤاد سيد: المرجع السابق، ص٤٩

(٤) سعاد ماهر: تطور العمائر الإسلامية بتطور وظائفها. مقال بالمجلة التاريخية، مجلد ١٨ عام ١٩٧١، ص٥٥

(٥) جرجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، ج٢، مراجعة حسين مؤنس، دار الهلال، ط١، هامش ص١٨٢

(٦) الحمراء: بطن من عقب أرش بن أراس بن جزيلة بن لخم من القحطانية. انظر: عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٩٩٧، ص٢٩٩

(٧) أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها، دار المعارف، ١٩٦١، ص٥٧

(٨) عبد الرحمن زكى: القاهرة، ١٩٤٣، ص١١

(٩) الفرسخ: مقياس فرنسى يبلغ نحو عشرة آلاف كم٢

(١٠) ابن حوقل: صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامى، القاهرة، ١٩٩٨، ص١٣٧

(١١) أندريه ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، ترجمة لطيف فرج، دار الفكر، القاهرة، ط١، ١٩٩٤، ص٦٢

(١٢) فتحي محمد مصلحي: تطور العاصمة المصرية والقاهرة الكبرى، ص١٢٣

(١٣) أبو الحمد محمود فرغلي: الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية والقبطية في القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٠، ص٥٩

(١٤) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٠. ص١٩٨

(١٥) أندريه ريمون: المرجع السابق، ص٦٢

(١٦) خالد عزب: الفسطاط أولى عواصم مصر الإسلامية. مقال مطبوع ضمن مقالات الهيئة العامة لقصور الثقافة للاحتفال بمرور ١٤٠٠ سنة على دخول الإسلام مصر، القاهرة، ١٩٩٩، ص١٤٧

(١٧) محمد بن أبي السرور البكري: قطف الأزهار من الخطط والآثار. مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٥٧ ميكروفيلم ٤٥٨٥٢ ورقة ٤٨

(١٨) ستانلي لينبول: سيرة القاهرة، ترجمة حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن، هيئة الكتاب، ١٩٩٧، ص١٥٦

(١٩) نفس المرجع: س١٥٧

الفصل الأول
مصر القديمة من منظور عمراني

تقع مصر القديمة على الضفة الشرقية لنهر النيل، ومن ملحقاتها جزيرة الروضة التى يفصلها عنها أحد أفرع النهر، ولذلك فهي ذات موقع جغرافى متميز، تطل على منفذ مائى سهل عليها الاتصال بالخارج ونشر العمران في ربوعها. إضافة إلى أنها وريثة لمدينتين قديمتين كانتا لهما عمقًا في التاريخ نعنى مدينة بابليون القديمة على ساحل النيل ومدينة الفسطاط الإسلامية.

وقبل التطرق إلى الجوانب العمرانية في المدينة لابد لنا هنا من وقفة لتحديد مشكلة قد تثير بعض الجدل، وهى "مسمى المدينة" وذلك حتى لا يحدث اللبس، ولارتباط ذلك بالعمران كما سنرى، ولنتفق معًا حول مفهوم واحد نطلقه على المدينة موضوع الدراسة.

فقد لاحظنا تضاربًا كبيرًا بين أقوال الرحالة لتحديد مسمى

مصر القديمة، ظهر ذلك بوضوح لدى الرحالة الفرنسيين الذين زاروا المدينة خلال القرن السابع عشر.

فالمصادر العربية دائمًا تطلق عليها " مدينة مصر " في حين أن أغلب الرحالة الأجانب يسمونها " القاهرة القديمة " وقد خرج من عباءة هذين اللفظين مسميات أخرى. فمثلاً يطلق عليها الرحالة "جوهان ويلد Wild" اسم مصر العتيقة(١). وهى نفس المعنى الإيطالي الذى وضعه "برمون Premond" وهو "مصر البيطيش Misrul-betich"(٢). ولكن نجد أغلبهم يركز حول لفظ "بابليون"(٣) التي توصف بأنها القاهرة القديمة الآن. والتي تقع جنوبي القاهرة على بعد ٥ كيلو مترا، وقد شيدت على أنقاض مدينة الفسطاط الغابرة(٤)، ولكن يجب أن نأخذ في اعتبارنا أن المؤرخين الأوربيين قد خلطوا منذ العصور الوسطى حتى القرن ١٧م بين بابليون وبابل (بابلونيا Babylonia) فأطلقوا - كما يروى جرجى زيدان - اسم بابلونيا على القاهرة، بل على مصر كلها فكانوا يقولون " سلطان بابلونيا " ويريدون سلطان مصر؛ ومما يؤكد رأى زيدان قول الرحالة فارمنيل Fermanel الذى زار المنطقة عام ١٦٣١ ووضع عدة مسميات للقاهرة منها بابليون(٥).

وعمومًا فقد درج المصريون على تسمية بابليون قصر الشمع الذى لا تزال بقاياه محتفظة بهذا الاسم إلى الآن، بل إن بعض الشوارع والمقاهى خلف جامع عمرو بن العاص قرب مارى جرجس تحمل اسم " قصر الشمع ".

على أية حال نخرج من هذا التضارب حول تحديد اسم للمدينة بنتائج مهمة. أن المصادر العربية تطلق عليها اسم " مدينة مصر " باعتبار أن موضعها هو موضع مدينة الفسطاط التى هى نواة مصر الإسلامية من وجهة نظر تلك المصادر. وخلال العصر المملوكى نجد مصدراً مثل المقريزى يطلق عليها نفس الاسم. ثم يعود فيقول "مصر القديمة " كتحديد لتلك المدينة التى آل أمرها إلى خراب حتى وصفها بلفظ " قديمة "(٦).

أما المصادر غير العربية فنجدها تركز حول المسميات السابقة الذكر، فلا ندهش حين نرى على وجه التحديد الرحالة الفرنسيين الذين زاروا المدينة خلال القرن يطلقون عليها مسمى " بابليون " أو " القاهرة القديمة Le vieux caire ". ونلمس العذر لهؤلاء جميعاً خاصة أن هدفهم واحد وبؤرة اهتمامهم كانت موجهة نحو مدن ذات تاريخ عريق ظلت عاصمة لمصر في فترات سابقة سواء بابليون أو الفسطاط أو حتى العسكر والقطائع والقاهرة المعزية، وكانت حركة العواصم هذه في منطقة مركزية بالنسبة لمصر.

العمران بمصر القديمة :

بادئ ذى بدء لابد لنا أن نحدد موقع المدينة جغرافيًا حتى يتثنى لنا تحديد مواضع العمران، فقد حددها المقريزى خلال العصر المملوكى فقال " إن مدينة مصر محددة الآن بحدود أربعة، فحدها الشرقى اليوم من قلعة الجبل وأنت آخذ إلى باب القرافة فتمر من داخل السور الفاصل بين القرافة ومصر إلى كوم الجارح وتمر من كوم

الجارح وتجعل كيمان مصر كلها عن يمينك حتى تنتهى إلى الرصد حيث أول بركة الحبش فهذا طول مصر من جهة الشرق وكان يقال لهذه الجهة عمل فوق .·. أما حدها الغربى من قناطر السباع خارج القاهرة إلى موردة الخلفاء ونأخذ على شاطئ النيل إلى دير الطين وهذا طولها من جهة الغرب، وحدها القبلى من شاطئ النيل بدير الطين حيث ينتهى الحد الغربى إلى بركة الحبش تحت الرصد حيث انتهى الحد الشرقى فهذا عرض مصر من الجنوب التى يسميها أهل مصر الجهة القبلية، وحدها البحرى من قناطر السباع حيث ابتداء الحد الغربى إلى قلعة الجبل حيث ابتداء الحد الشرقى فهذا حد مصر من ناحية الشمال، وما بين الجهات الأربع فإنه يطلق عليه وقتئذ مصر(٧).

إضافة إلى كل ما ذكره المقريزى وجد خط فم الخليج ومعه خط الجامع الجديد وخط السبع سقايات الذى هو من جملة الحمراء الدنيا، كل ذلك ضمن حدود مصر القديمة.

ومن خلال استقرائنا لوثائق القرن ١٧ نجد أن تحديد المقريزى السابق قد طرأت عليه بعض التغيرات، نجد أن جزيرة الروضة تدخل ضمن حدود مصر القديمة، فنقول " روضة مصر القديمة "(٨)، والتى يرى كازانوفا أنها لم تكن موجودة في زمن الفراعنة، بل كان موقعها وقتئذ جزءاً من الشاطئ الأيسر للنيل(٩). ومن خلال حفريات الفسطاط يؤكد لنا على بهجت وألبير جبرييل أن جزيرة الروضة من ملحقات الفسطاط الطبيعية، وقد بنى بها محمد بن

طغج الإخشيد عام ٣٢٣هـ٩٣٢ / م داراً له ذات بساتين واتخذ فيها داراً للنوبة وداراً للغلمان(١٠) .

إضافة إلى خط قناطر السباع (السيدة زينب) فقد أشار إليه المقريزى على أنه بداية الحد الغربى لمصر القديمة ، في حين تذكر وثائق القرن أجزاءً من قناطر السباع هذه ضمن حدود مصر القديمة فتقول : " درب السيدة زينب بخط قناطر السباع المعدود من درك مصر القديمة "(١١) .

ويروق للرحالة نتزشيتز Neitzschitz الذى زار المدينة في بداية القرن أن يقسمها إلى قسمين هما " بابليون القديمة - بابليون الحديثة " ، ويقول : بابليون القديمة لم تكن مبنية جيداً ، ولم تكن مأهولة بالسكان مثل بابليون الجديدة(١٢) . وتقسيم نتزو هنا يوضح حقيقة مهمة أن العمران قد حدث بالفعل في المدينة ، وهو ما دفع نتزشيتز وغيره إلى تأييد هذا التقسيم الذى نقبله مبدئياً بصفته تقسيماً جزافياً إن لم يكن يذكر صراحة في نصوصنا .

وهنا يجب أن نأخذ في الاعتبار أموراً مهمة لكى نوفق بين ما رصده المقريزى ، وما جرى على لسان الرحالة خلال القرن ، إضافة إلى شيء مهم كان له دور كبير في تحديد المدينة طبوغرافياً نقصد نهر النيل الذى كان ينتقل على تتابع السنين مع تنقل الشاطئ نحو الغرب . فالمقريزى يجعل نهر النيل هو الحد الطبيعى الغربى لمصر القديمة ، وعندما أقبل زمن الكامل الأيوبى تقلص الماء عند سأحل مصر القديمة فقام الحاكم بحفر البحر حتى صار الماء يحيط بالمقياس

وجزيرة الروضة، وتتابع السنين جعل الحد الغربي هذا غير مستقر حيث استمر نهر النيل في عملية النحر وتوسيع المجرى والترسيب على الضفة الشرقية الأمر الذى أضاف مساحات إلى مصر القديمة قرب جامع عمرو ومنطقة مارى جرجس التى أصبحت أرض بساتين ونخيل خلال العصر العثمانى محاطة بالعديد من المبانى والمنازل الجميلة. أما قول الرحالة نتزو [بابليون القديمة - بابليون الجديدة] دون الإشارة الواضحة لتحديد المدينة يجعلنا نؤكد أنه اكتفى بالتحديد الذى وضعه سابقوه وإن كان قد أضاف المناطق التى حدث فيها تطور وعمران حتى وصفها " بالجديدة ".

وعمومًا تؤكد لنا الوثائق أمورًا أخرى لتصحيح وتحديد بعض المفاهيم التى درجت على الألسنة كفكرة " خرائب مصر القديمة " و"التحديد الدقيق لها من خلال الوثائق ". وقد وجدنا أنفسنا أمام عدة تساؤلات: متى حدث الخراب بمصر القديمة ؟ ولماذا ؟ وهل حدث عمران لتلك الخرائب؟ وظهرت خريطة جديدة للمدينة ؟ وما السبب في هذه المحاولات العمرانية ؟

والحق أنها تساؤلات في غاية الأهمية، وربما تأتى الإجابة عليها لتبرز حقائق أهم. فالتساؤل عن بداية حدوث الخراب بمصر القديمة يعود إلى هجرة سكانها إلى العاصمة الجديدة القاهرة ، إضافة إلى كثرة المجاعات والأوبئة التى حلت بالمنطقة وهلاك الكثيرين وفرار الأحياء إلى المناطق المجاورة تاركين المدينة العتيقة ترثى مجدها الزائل بعدما تهدمت العديد من المبانى بها.

وقد لاحظ ذلك الرحالة جوهان ويلد Johann Wildالذى زارها في الفترة " ١٦١٠ -١٦١٦ " ورصد بها نحو ٤ أحياء، وقال " إن المدينة قد تهدمت كليًا، وأصبحت بدون أسوار مرتفعة. ولذلك كان من الممكن بسهولة دخولها أو الخروج منها ....."(١٣).

وأكدت وثائق العصر ذلك بذكر مناطق عديدة بالمدينة قد حل بها الخراب وأعطتها لفظ " خلاء وكيمان " كمنطقة الخلاء والكيمان خلف جامع عمرو قرب حمام جمدار، والخرائب التى ظهرت بخط دار النحاس وفم الخليج وكوم الجارح.

كل هذا جاء نتيجة طبعية بأن يترك السكان تلك الخرائب والفرار من شبح الجوع والطاعون يلتمسون أماكن أكثر أمانًا وسعة في العيش فلم يجدوا أفضل من القاهرة التى أصبحت أغنى وأكثر الجهات سكانًا. ولكن لم يستمر الحال بالمدينة على هذا المنوال، صحيح أنه قد بقى بها بعض سكانها رغم ما ألمّ بها من خراب لكنهم كانوا فئة قليلة حتى حدثت بعض المحاولات لتعمير المنطقة خاصة في النصف الثانى من القرن ١٧ . فلا ننس أن الدمار قد حل بمدينة مصر [الفسطاط] منذ زمن وبالتحديد عام ٥٦٤هـ١١٦٨/م عندما تعرضت للحرائق أثناء وزارة شاور بن مجير السعدى، ورأينا كيف كانت هناك بعض المحاولات السابقة لتعمير المنطقة سواء من جانب الأيوبيين أو المماليك(١٤). وقد اهتمت الإدارة العثمانية بتعمير المنطقة وإن جاء ذلك في النصف الثاني من القرن بسبب وقوع العديد من المجاعات في سنوات متفرقة في النصف الأول

حالت دون إحداث محاولات عمرانية ذات شأن كبير يذكر . فقد وجدنا بيوزلدي صادر في ٩ صفر عام ١٠١٩هـ١٦٠٩ / م للزيني حسين صوباشي مصر القديمة آنذاك بضرورة تعمير الأماكن الخربة(٣) . ولكن لم يحدد البيورلدي أي المناطق الخربة يقصد ؟ وما حجم التعمير الذى سوف يحدث بها ؟

في حين عثرنا على العديد من الخرائب بظاهر قصر الشمع ممتلئة بالأتربة وخالية من السكان ، ويخشى على سكان المنطقة المتاخمة لها ، لذلك وقع بيورلدي شريف من طرف الديوان عام ١٠٥٥هـ١٦٤٣ / م يرى بأن " كل من يبني ويعمر بهذا المكان يكون ملكًا له قصداً لدفع الضرر عن الجيران وعن الذين يمرون بهذا المكان . . . . "(١٥) . وبالفعل قام بعض النصارى القاطنين بالمنطقة بتنظيف هذه الأرض الخالية وبنوا عليها بيوتًا عديدة بمساعدة ناظر كنيسة أبى سرجة(١٦) . والجدير بالذكر أن هذه الأرض في البداية عندما كانت خرابًا جارية في وقف زاوية النعمانية ، وأن البناء الموضوع عليها جارٍ في وقف الكنيسة المذكورة .

وفى النصف الثانى من القرن كثرت الحركة العمرانية بالمدينة بشكل واضح للعيان ، ففى أطراف حمام جمدار تجاه جامع الدبان قد انتشرت أكوام الأتربة التى يرجح أنها بيوت قد تهدمت لجماعة الفقراء المنتشرين بالمنطقة ، ذلك أن شخصًا يدعى عيسى المضبوى قد رغب هو وجماعة الفقراء التراسين المساعدين بالعنبر الشريف بمصر القديمة في إزالة كوم التراب وعمارته لهم ، وفى الحال برز الأمر

الشريف في ١٣ ربيع الأول ١٠٧١هـ/١٦٦١م يقر لهؤلاء الفقراء بتعمير المنطقة إذا لم تكن في يد أحد ولا في وقف من الأوقاف، أما إذا كانت غير ذلك، بحيث أنها ضمن أملاك أو أوقاف شخص آخر فليحضر وعليه تعمير ذلك، ولكن إذا لم يحضر بعد ثلاثة أيام فلا يتعرض من بعد ذلك لمن يرغب في إزالة ذلك وتعميره حسب الأمر الشريف[١٧].

وعلى العادة المتبعة آنذاك فقد أجهر النداء، واتصل ذلك بمسامع الخاص والعام من أهالي مصر القديمة، وقد مضت الثلاثة الأيام ولم يحضر مدعٍ بشيء من الكوم المذكور. فجاء جماعة التراسين المذكورين وعلى رأسهم المحترم أحمد بك سالم الشهير بالردكينى العقباوي، والمعلم على وأخوه أحمد ولدا المرحوم الحاج حسين بيسارة وشرعوا في تعميره وامتلاكه[١٨].

ويبدو منذ الوهلة الأولى أن جل اهتمام كل من الإدارة العثمانية وكذلك الأهالي كان موجهًا لتعمير منطقة الشيخ شهاب المجذوب وحول زاويته بأطراف حمام جمدار قرب الجامع المسلمية أو الدبان، فهناك العديد من الأوامر الشريفة قد صدرت بناء على ذلك من ولاة مصر المحروسة. فقد أصدر الوالى عمر باشا "١٠٧٤-١٠٧٧هـ/١٦٦٤-١٦٦٧م" أمرًا بإزالة أكوام الأتربة الكائنة بأطراف حمام جمدار قرب الشيخ شهاب المجذوب، وحيازة ذلك بعد تعميره، وفى نفس الوقت يحرم أى شخص من امتلاك أى جزء في المنطقة إذا تركه خرابًا ولم يجر فيه أى عمران حتى لو كان تحت

حوزته. ففي هذه المنطقة امتلك كل من المعلم إبراهيم بن محمد عرف بابن المطهرية وكان تراسًا بالعنبر الشريف بمصر القديمة، والمرأة نعمة بنت عامر السقا قطعة أرض كان لإبراهيم بها النصف والربع بينما حازت نعمة الربع فقط، ولما صدر الأمر الشريف من قبل الوالي عمر باشا، قام المعلم إبراهيم بتعمير حصته المذكورة في حين تخلفت نعمة المذكورة لمدة أربعة أشهر، فوقع التشديد والتهديد من الحكام على شريكها إبراهيم الذى قام بتعمير حصتها أثناء غيابها حيث عمّر بها نحو أربع قاعات وسورًا دايرًا عليها، وكل ذلك من ماله وصلب حاله على حد تعبير الوثائق(١٩).

وعندما عادت نعمة أبت أن تدفع تكلفة تعمير حصتها المذكورة، بل إنها ادعت أنها شريكة للمعلم إبراهيم بحق النصف وإنها غابت عنه وتركته المدة المذكورة، ودفعت له قبل غيبتها ثلاثة قروش وأذنته بصرفها على حصتها وليس بيدها الآن شيء تصرفه على عمارة ذلك كونها عاجزة عن التكلفة.

وقد احتكم الطرفان هنا إلى حجة الحيازة المتضمنة لشركتها معه، فوجدت " متضمنة حقها في الربع فقط. ومعين بها إظهار الندا من قبل ولي الأمر نصره الله تعالى إن كان من حاز شيئًا من ذلك ولم يعمره على الفور ترفع يده عنه ويمكن منه الراغب في عمارته فورًا.... "(٢٠).

وتؤكد هذه الحجة المؤرخة عام ١٠٧٥هـ/١٦٦٥م ما ذكر سابقًا من أن عملية امتلاك العقارات هنا من حق أى شخص قام بتأسيس

هذا العقار وليس الشخص المالك لأرض هذا العقار، فبناء على هذه الحجة أصبح المعلم إبراهيم هو المالك الوحيد للحصة المذكورة كلها وأن المرأة المدعية (نعمة) لا حصة لها معه، ومنعت من التعرض له بسبب ذلك.

وكذلك تؤكد هى وغيرها من الحجج أن عبء وتكلفة العمران قد وقع على عاتق الأهالى الذين رغبوا في السكنى والحماية من خطر اللصوص الذين اتخذوا من الأماكن الخربة مأوى لنشاطهم الإجرامى.

ونتيجة للاهتمام المتزايد بتعمير منطقة الخلاء والكيمان بأطراف حمام جمدار ظهرت أسماء العديد من الحارات أهمها حارة الشيخ شهاب، وكذلك الكفور المستجدة بها الكثير من المناطق السكنية التى تزاحم أهالى مصر القديمة للإقامة بها وشراء الدور اللازمة لهم، فقد اشترى الحاج سالم بن المعلم أحمد المعروف بالصولى التراس بالعنبر الشريف من الحاج مصطفى بن الشيخ حسن الشهير بابن أبى طوغابى التراس هو أيضا والقاطن كلاهما بخط حمام جمدار، دارا تشمل قاعة صغيرة وأرضية مسقفة غشيما والباقى كشفا سماويا، وهذه الدار كانت في الأساس قطعة أرض من أصل الكوم الكاين بأطراف حمام جمدار المذكور[٢١].

وتذكر الوثائق العديد من المنازل في هذه المنطقة التى كانت بالأمس القريب خرابا دايرا، فهناك منزل دويدار الطحان، ومنزل الحاج عبد الرحمن السملى، ومعظم سكان هذه المنطقة الجديدة من

طائفة التراسين بعنبر غلال مصر القديمة ويعود السبب في ذلك لعامل الجوار، فعنبر الغلال بمنطقة حمام جمدار القريبة من المنطقة المستجدة هو مسقط رأس طائفة التراسين المذكورة. ووجد أيضاً حوش ضمن أملاك الشيخ عبد الرازق أبو العطا بن وفا(٢٢) وقد عرف هذا الحوش بسكن أبو عجاج شيخ طائفة الحمارة(٢٣). فقد انتشرت الحمير في المنطقة الجديدة وكان لها موقف خاص عرف "بموقف الحمارة" فلا ننس أن الحمير هى وسيلة الانتقال الأساسية داخل المدينة وكان لها الفضل الأول بربط هذه المنطقة التى مازالت حديثة العهد بالعمران بسوق حمام جمدار العظيم، فكانوا يسلكون الطريق الموصل إلى جامع عمرو بن العاص(٢٤).

بيد أن هذه المنطقة رغم كل ما حدث بها ما تزال عرضة لتهديد اللصوص الأمر الذى دفع جماعة التراسين القاطنين بها يرفعون شكوى مضمونها " إن اللصوص في كل يوم يأتون إليهم ويتسلقون عليهم وقد حصل لهم بذلك غاية الضرر وقصدهم عمارة دربين متقنين لصون أماكنهم من اللصوص المذكورين ويصيرون بذلك آمنين. وإنهم جمعوا من بعضهم أربعة آلاف نصف فضة ليصرفوها في عمارة ذلك بمعرفة فخر الأعيان الأمير محمد بن المرحوم سليمان زعيم مصر القديمة حالاً ".

وفى الحال ورد بيورلدى شريف لنايب مصر القديمة وهو الحاكم الشرعى الحنفى وساعده الأيمن الصوباشى محمد المذكور في نص الشكوى، يأمرهما فيها بضرورة تعمير الدربين المذكورين وعدم

التعرض لهم . فكان الدرب الأول يبدأ من كتف الدرب الذى بموقف الحمارة وحوش الشيخ عبد الرازق أبو العطا حتى قطعة أرض تحت تصرف المعلم منصور المعروف بابن الجزار ، أما الدرب الثانى فيبدأ من كتف منزل دويدار الطحان وإلى منزل الحاج عبد الرحمن السملي ويوضع برأس الطريق الموصل إلى جامع عمرو . وكان طول كل درب نحو خمسة أذرع وكانا محكمى البناء بالمون المتقنة والدبش وأكتافهما بالحجر الفص الأحمر المنحوت بها الأبواب المحكمة بالخشب النقى والمسامير (٢٥) .

ويذكر إنه من أبرز الشخصيات التى رغبت في حيازة أراضٍ بظهر سور حارة الشيخ شهاب المجذوب وتعميرها الأمير يوسف جوربحى من طائفة عزبان والمتحدث على حطب مطبخ الديوان الشريف ، والأمير محمد بن الأمير سليمان زعيم مصر القديمة الآن . وقبلهم كان الشيخ عبد الرازق أبو العطا شيخ السادات الوفائية . ذلك كله يؤكد خروج المدينة كلها عن بكرة أبيها فقرائها وميسوريها للمساهمة في تعميرها وعودة الحياة من جديد لبعض المناطق التي لا تزال تعانى من جراء اعتداءات سابقة .

وقد لاحظنا أيضًا حدوث عمران في مناطق أخرى في النصف الثانى من القرن ، خاصة في منطقة قصر الشمع داخل حارة النصارى وإن اختلف أسلوب العمران هنا حيث شمل أماكن متهدمة ، وإعادة تجديدها مرة أخرى ، ففى عام ١٠٧٦هـ/١٦٦٦م ذكر الذمى درهمى الخياط بخط قنطرة أق سنقر وناظر وقف كنيسة

أبى سرجة بقصر الشمع، أنه يوجد مكان آيلا للسقوط ضمن أملاك الكنيسة المذكورة ومجاوراً لها، ويخشى من بقائه على هذه الحالة سقوطه على الجيران أو المارة من أهل مصر القديمة وغيرهم. لذلك صدر الأمر الشريف إلى الحاكم الشرعى الحنفى بمصر القديمة بالكشف على هذا المكان لأجل عمارته والسكنى به(٢٦). وبالفعل قام الحاكم الحنفى هذا ومساعدوه بهدم الأجزاء الباقية من هذا المكان بعدما شاهد بنفسه مدى الضرر الذى سوف يلحق بالأهالى لو بقى هذا المكان على حاله، وقد قوبل ذلك بالترحاب من قبل الذميين القاطنيين قرب الخربة هذه وهم الذمى برسوم وشلتوت وشرابى والقسيس لطف الله.

وبحارة النصارى كنيسة تسمى بالمعلقة قد ارتبط بها العديد من الفقراء الذين اعتمدوا في حياتهم على الأوقاف التى يحبسها أهل البر لصالح الكنيسة. وكان من جملة أوقاف هذه الكنيسة قطعة أرض قد حصصت سكنا لطائفة النصارى بالحارة المذكورة، ولكن بمرور الزمن تهدم هذا المسكن وصار خرابًا يتضرر منه الجار والمار، فرغب هؤلاء في تعمير هذا المكان لأجل عمل الشمع السكندرى به، وما يعود ذلك بنفع على فقراء الكنيسة المذكورة وأيضا على القاطنين بها والواردين عليها، وأمام هذا الحماس الشديد من جانب النصارى وأيضًا ناظر أوقاف كنيسة المعلقة ويدعى إبراهيم بن يوحنا - الذى تبرع بالكثير من أمواله لفقراء الكنيسة - لم يجد الحاكم الشرعى الحنفى بداً من إصدار أوامره بضرورة العمارة لهذا المكان المتهدم بعدما تأكد من خرابه(٢٧).

وفى مواضع عديدة من المدينة امتدت أيدى العمران لترسم الحياة من جديد على المناطق التى هجرها أهلها كمنطقة كوم الجارح التى دب فيها العمران وظهرت فيها المنازل والحارات التى تكتظ بالسكان وعموما حركة العمران هذه لم تكن تشهدها مصر القديمة وحدها، بل تزامنت مع مناطق أخرى، حتى مع المدينة القاهرة التى سرقت الأضواء من المدينة العتيقة، فسمعنا عن مناطق عديدة يجرى فيها العمران على قدم وساق كمنطقة أطراف بابى زويلة والخلق المسماة بأطراف قناطر السباع(٢٨).

مما سبق يتضح لنا أن فكرة "خرائب مصر القديمة" لم تكن ذات معنى كبير هنا بعدما شاهدنا العمران الذى حدث بها. ولكن لا يعنى ذلك أن الصورة تغيرت كليًا، فرغم العمران الذى نتحدث عنه وجدت العديد من الخرائب التى لم تصلها يد العمران بعد ولكننا أردنا تصحيح الصورة القاتمة التى رسمها البعض عن المدينة في جو من الإنصاف التاريخى، وقد ظهرت العديد من المنازل، والحارات والوكالات التجارية وكذلك الأسبلة وما يلزم صور الحياة المختلفة في المناطق الجديدة المعمرة، بحيث يمكننا القول بأنه قد ظهرت خريطة جديدة للمدينة في ضوء الخطط التى ظهرت بها وما تبعها من حارات وأزقة وشوارع ودروب أو حتى خوخة وعطفة سوف نتناولها بعد قليل.

المنشآت العمرانية:

وظهرت على أرض المدينة العديد من المنشآت المعمارية سواء في العصر العثمانى أو في عصور سابقة عليه، هذه المنشآت اختص بعضها بالنواحي الدينية والأخرى بنواحي اجتماعية فنجد:

أولاً المنشآت الدينية :

١ - المســاجد :

لقد بدأت العمارة الإسلامية ببناء المساجد، فقد كان أول عمل قام به النبي (ص) عند هجرته إلى المدينة هو بناء مسجد للمسلمين في مربد التمر الذى بركت فيه ناقته، وكان البناء في البداية بسيطًا بأدوات من اللبن وسعف وجذوع النخيل، وقد نهج المسلمون هذا النهج في بناء مساجدهم، فعندما فتح عمرو بن العاص مصر عام ٢٠هـ/٦٤١م ودانت له الأمور بها فكر في بناء مسجده الجامع بها نعنى به جامع عمرو بن العاص بمصر القديمة، وهو أول مساجد مصر الإسلامية. الذى أخذ عدة ألقاب إضافة إلى المسجد الجامع منها المسجد العتيق لأنه أقدم الجوامع[٢٩]. وتاج الجوامع، وقد هدم هذا الجامع وأعيد بناؤه أكثر من مرة[٣٠]. على أن أكبر الزيادات حدثت للجامع في ٢١٢هـ/٨٢٧م على يد عبد الله بن طاهر من قبل الخليفة هارون الرشيد حيث بلغت مساحته نحو ١١٢,٥٠ x ١٢٠,٥٠ متر وهى مساحته الحالية.

وخلال العصر المملوكى دخلت عليه بعض التجديدات نذكر منها تجديد بعض جهاته التى تمت في عهد الأشرف قيتباى [٨٧٢ / ٩٠١هـ][٣١]. وخلال العصر العثمانى كان الجامع عامراً بالشعائر الدينية المختلفة، فقد زاره النابلسى أواخر القرن السابع عشر وقال عنه " إنه من أعظم الجوامع في مصر وهو جامع كبير واسع الأطراف مقدار الجامع الأموى الذى عندنا في

دمشق....."[٣٢] . فوجد به الخطباء وكان أشهرهم على الإطلاق الشيخ عثمان بن أبى السعود الشهير بابن مسطولة، والمؤذنين أمثال الشيخ إبراهيم بن نوح[٣٣]، وهناك الفراشون القائمون بأعمال الفراشة وممن تولاها السادات الوفائية الذين أنابوا عنهم من الباطن بعض العمال لبسط الفراش وتنظيفه من الأتربة. وكان الشيخ الإمام زين الدين عبد الرؤوف البكرى المالكى ومحمد بن زين الوفائية من السادات الذين قاموا بذلك[٣٤] .

ووجدنا بجانب جامع عمرو بن العاص العديد من الجوامع الأخرى داخل مصر القديمة، يعود تاريخ إنشائها إلى ما قبل العصر العثمانى وما تزال في القرن السابع عشر عامرة، فالجامع الجديد الناصرى قد شيده الناصر محمد بن قلاوون بخط فم الخليج تمارس فيه العديد من الأنشطة الدينية إضافة إلى إنه مقر لمحكمة مصر القديمة ومكان للتقاضى وإن انتقل مقر المحكمة منه إلى الجامع المنصورى وسط مصر القديمة وذلك في عام ١٠٦٠هـ/١٦٥٠م[٣٥] . وتبلغ مساحته نحو ٧٨٧٢ مترا مربعا، وله أربعة أبواب وفيه ١٣٧ عمودا، إلا إنه قد زال كل أثر له الآن[٣٦] .

أما جامع القاضى المملوكى حسن السويدى فكان بخط حمام جمدار وهو في الأساس مدرسة[٣٧] . واحتدم الصراع في العصر المملوكى حول إقامة الخطبة به أم الدرس، وتأرجح تاريخه تارة بين هذه وتلك ولكن في القرن السابع عشر أقيمت الخطبة والدرس معا،

بل أزيد على ذلك أن أصبح جامع السويدية مقراً لمحكمة مصر القديمة في ١١ جمادى الأول ١٠٩٢هـ/١٦٨٢م[٣٨].

وفي منطقة دار النحاس عثرنا على جامع المرحوم " سيدى محمد ابن المقداد " الذى كان عامراً في بداية القرن السابع عشر، يتردد عليه المصلون وكان يرعاه أحد الفراشين الذين تم تعيينهم من قبل القاضى الحنفى بمحكمة الباب العالى[٣٩]. أما في النصف الثانى من القرن فقد تبدل الحال، فحينما صدر البيورلدى الشريف بالكشف على الجامع وجده الصوباشى محمد - صوباشى مصر القديمة آنذاك - " مفتوحاً بابه به بعض الأماكن الخربة وشخص بخدمته لاستقبال الزوار "[٤٠].

وبجوار جامع ابن المقداد جامع آخر به ضريح الشيخ محمد الحويوى ولكنه جامع مغلق يحتاج إلى العمارة. وبدار النحاس وجدنا أيضاً جامع الحسنات مفروشاً بالحصر، عامراً فسقيته ممتلئة بالماء، وإن وجدت به بعض الأجزاء تحتاج للعمارة، وبه حنفية قديمة خالية من الماء[٤١].

وعلى شاطئ نهر النيل بمصر القديمة في المنطقة التى تعرف الآن باسم " أثر النبى "[٤٢] جامع الآبار الشريفة الذى كان في الأساس رباطاً لإقامة الفقراء المتعطلين أنشأه الوزير فخر الدين الذى تولى الوزارة في ٦٩٣هـ/١٢٩٣م وتوفى عام ٧٠٧هـ/١٣٠٧م. وعرف أيضاً برباط الآثار لأنه شيد لإيداع آثار نبوية به قد اشتراها المنشىء من بنى إبراهيم بينبع ونقلها إلى مصر، وظل المسجد خلال القرن

السادس عشر عامرا يتردد عليه المصلون، ويحضر الخطيب كل جمعة لإقامة الصلاة. ففي عام ٩٧١هـ أخبر جماعة السواقي السلطانية في منطقة الآبار النبوية " إن الجامع كامل الفرش به حصر والمقام الذي يصلي عليه منظف بلاطه به مؤذن وبواب "(٤٣). ورغم ذلك تحتاج بعض الأجزاء كالسلم والوجهة الخارجية للعمارة والترميم، وقد استمر الجامع عامرا في القرن السابع عشر يقطن به جماعة المجاورين، وقام والي مصر إبراهيم باشا "١٠٧٤ / ١٠٧٢هـ - ١٦٦٤ / ١٦٦١م" بإجراء العمران به(٤٤).

وفي سنه ١٠٧٧هـ١٦٦٦ / م جدد الرباط وظهرت به القبة الحجرية الموجود بها أثر القدمين وهي مزخرفة من الخارج ومكسوة من الداخل بالقيشاني الجميل.

وعلى شاطئ النيل أيضا تردد دائما ذكر مصلاة الخواجا أحمد بن طعيمة ولكن لم ترد أي معلومات عنها، فتذكر في بطون السجلات كإشارة فقط(٤٥). وفي نفس المنطقة جامع قد شيد في العصر العثماني نعني جامع المرحوم عابدي بيك (الشيخ رويش الآن) أمير اللوا، الذي تأسس عام ١٠٦٩هـ١٦٦٠ / م(٤٦)، ولما كشف عليه بأمر من الوالي إبراهيم باشا على يد الصوباشي محمد في ٥ ذي القعدة عام ١٠٧٨هـ١٦٦٨ / م وجد " عامرا كامل النظام مفروشا بالحصر ومعلقا به القدور والقناديل الزجاج وفسقيته ممتلئة بالماء "(٤٧).

وقد ظهر على الجامع النظام العثماني الخالص الذي اتخذ من طراز المصليات السلجوقية في القرن الخامس الهجري أساسا له من

حيث القبة الكبيرة المبنية من الحجر يحيط بها من جميع الجهات عدا الجهة القبلية أيوانات محمولة على أكتاف تعلوها قباب ضخمة(٤٨).

وداخل حارة النصارى المعروفة بقصر الجمع بظهر حمام جمدار وجدت بعض الجوامع مثل جامع المعلقة بجوار كنيسة المعلقة(*) وجامع النعمانية بجوار كنيسة أبى سرجة، ووجود مثل هذه الجوامع في المنطقة التى تعتبر " مستودع كنائس " جعل تاريخها يتسم بالحساسية طوال القرن السابع عشر، لذلك سوف نركز على هذه العلاقة بشىء من التفصيل فيما بعد.

وبخط السبع سقايات جامع المرحوم يونس الذى كان مكانًا للدرس والصلاة في وقتٍ واحد(٤٩). وبروضة مصر القديمة جامع المقياس الذى يعود إلى ما قبل العصر العثمانى، فهو ضمن أوقاف السلطان الغورى، ويذكر ابن إياس " إن الغورى قد اهتم به وجدد عمارته "(٥٠). وفى العصر العثمانى ظل عامراً بالعبادات المختلفة تعلق به الكثيرون من الأئمة أمثال الإمامين أحمد وعبد المنعم ولدى الشيخ عثمان الجروانى والفراشين والقائمين بأعمال الرش والبوابة، ومن الطريف أن نجد ثلاثة من الأخوة الأشقاء وهم الشهابى أحمد والزينى عبد المنعم والمعلم سليمان يتولون أعمال الفراشة بجامع المقياس مكان والدهم الشيخ زين الدين عبد الله(٥١).

وقد ورد ذكر جامع المسلمية أو الدبان بأطراف حمام جمدار بظهر العنبر الشريف في المنطقة التى حدث فيها عمران ملحوظ

ورغم ذلك كان الجامع خرابًا لم تمتد إليه يد العمران خلال القرن، وبكوم الجارح جامع الشيخ أبو السعود محمد المدينى الشافعى يقطن به العديد من فقراء المسلمين، وكان يعرف قديمًا باسم المرحوم يعقوب(٥٢).

وجملة القول إن جوامع مصر القديمة خلال القرن أغلبها كان ينبض بالحياة عامرًا بالمصلين، وإن تعثر أحدهم على الفور نجد الإدارة العثمانية تسارع بتعمير الأجزاء التى تحتاج إلى ترميم أو حتى بناء كما رأينا في جامع الآبار الشريفة، ولا يعنى أن الجامع به بعض الأجزاء الخربة إنه مغلق فهناك العديد من الجوامع رغم ذلك مفتوحة عامرة كجامع ابن المقداد مثلاً، وخرائب بعض الجوامع لا يعود فقط للإهمال أو تقادم الزمن كما يحلو للبعض تفسير ذلك، بل في أحيان كثيرة يعود إلى أمور أخرى مفتعلة أو اعتداءات واضحة، فخراب جامع النعمانية جاء على يد النصارى الذين أخذوا أعمدة وأخشاب النعمانية وعمروا به الجانب القبلى من كنيسة أبى سرجة(٥٣).

٢ - الزوايا والأضرحة:

وقد انتشرت بمصر القديمة العديد من الزوايا والأضرحة كأسلوب من أساليب العمران بها، سواء تم ذلك خلال القرن أو في قرون سابقة ولكن يحسب إنه باقٍ وبحالة جيدة، وقد قمنا بعمل حصر - قدر جهدنا - لأهم الزوايا داخل مصر القديمة التى ظهرت أمامنا خلال التعرض لسجلات ومصادر القرن، وقد بلغت نحو ٢٢

زاوية في نواح متفرقة من المدينة. يوضحها الجدول التالي :

الزاوية	مقرها
١ . زاوية المعلقة	خط حمام جمدار "بقصر الشمع"
٢ . زاوية سيدى محمد الحويوى	خط فم الخليج
٣ . زاوية النعمانية	خط حمام جمدار
٤ . زاوية محمد المجذوب	بمصر القديمة "لم يحدد مقرها"
٥ . زاوية الدخلى (الخليلى)	بخط دار النحاس
٦. زاوية الشيخ مرغى	قرب حمام جمدار
٧ . زاوية الشيخ شهاب المجذوب	بحمام جمدار
٨ . زاوية النبى (ص)	بشاطئ نيل مصر القديمة
٩ . زاوية الشيخ على كشك	بحارة الحمام بمصر القديمة
١٠ . زاوية على الجمجعى	بحارة ابن مرعى قرب حمام جمدار
١١ . زاوية السادات الوفائية	بخط دار النحاس
١٢ . زاوية أبو السعود الجارحى	بكوم الجارح
١٣ . زاوية العارف بالله تعالى الشيخ معاوية	بحارة الشرفا بخط حمام جمدار
١٤ . زاوية عمر بن الفارض	بالقرافة الصغرى على حدود مصر القديمة
١٥ . زاوية مسلمة بن مخلد الأنصارى	بظهر حمام جمدار
١٦ . زاوية ساعى البحر	بخط حمام جمدار
١٧ . زاوية الشيخة هنيدة	بحارة الدخامسة بفم الخليج
١٨ . زاوية الشيخ على الجمل	بخط الحجارين بدار النحاس
١٩ . زاوية الحنفى	بكوم الجارح
٢٠ . زاوية شاهين الخلوتى	بسفح المقطم بدار النحاس
٢١ . زاوية الشيخ سعيد الكيزانى	بخط الكيزانية
٢٢ . زاوية الشيخ مسعود	بحارة العياط بخط دار النحاس

وكان التصوف يمارس داخل هذه الزوايا بانتظام، وكذلك الدرس مثلما كان داخل زاوية السادات الوفائية وزاوية ساعى البحر عثرنا على مكتب (كُتاب) ملحقًا بها يتردد عليه الطلاب عام ١٠٥٤هـ/١٦٤٤م[٥٤]. بل إن البعض قد اتخذ من الزاوية مقراً له، فالمرأة حمدة بنت أحمد الفران كانت تقطن بزاوية الدخلى في بداية القرن[٥٥].

وقد أحصى المقريزى المتوفى عام ٨٤٥هـ بمدينة مصر نحو ثماني زوايا فقط(٥٦). أي أنه حتى منتصف القرن ٩ هـ١٥ /م كان قد عمر بمصر القديمة هذا القدر البسيط فقط من الزوايا في حين إنه - كما هو مبين بالجدول السابق - وجد نحو ٢٢ زاوية تقريبا من خلال استقراء سجلات القرن، وهذا يعنى أنه خلال هذه الفترة التى تربو على القرنين ونصف قرن تتحسس المدينة طريقها نحو العمران.

أما المقابر والأضرحة فقد انتشرت داخل المدينة وعلى حدودها الشرقية والجنوبية، بينما كانت جبانة مصر الفسطاط حتى منتصف القرن ٩هـ١٥ /م تمتد فقط شرق المدينة في الأحياء التى تعرف اليوم ببطن البقر والبساتين وعقبة بن عامر والتونسى وهى المنطقة المعروفة " بالقرافة الكبرى "(٥٧). وعندما قام الكامل محمد الأيوبى بدفن ابنه عام ٦٠٨هـ بجوار قبر الإمام الشافعى الذى بنى فوقه القبة العظيمة وأجرى إليها الماء من بركة الحبش بقناطر متصلة منها، قام الناس بنقل الأبنية من القرافة الكبرى إلى ما حول الإمام الشافعى، وأنشأوا هناك الترب التى عرفت "بالقرافة الصغرى"(٥٨).

وقد انتشرت بالقرافة العديد من المساجد والمتنزهات والأحجار الكريمة، ويرى برمون أن بها بعض الرسومات المنقوشة ولكن معظم أحجارها قد تهدمت خلال القرن(٥٩).

وتعددت المدافن بمصر القديمة سواء كانت مدافن المسلمين أم النصارى يرعاها العديد من الحانوتية لتجهيز الأموات وحملهم في

توابيت خاصة، وقد ظهر الكثيرون منهم بخطى فم الخليج ودار النحاس[٦٠]، وقد لاحظنا أن نصارى مصر القديمة قد اعتادوا على دفن موتاهم في فساقي[٦١] تحت تخوم الأرض الكائنة داخل الدير أو الكنيسة مثل فسقية دير مارى مينا بفم الخليج ملك الذمية شلباية بنت الصايغ وكذلك فسقية المعلم ميرهم النصرانى وفسقية المعلم سليمان النصرانى المجاورتين لفسقية الذمية شلباية المذكورة[٦٢]. وعثر أيضاً على ثلاث فساق بكنيسة سيدة النصارى بعد الكشف عليها بموجب بيورلدى صادر من الوالى في مستهل صفر ١٠٦٦هـ١٦٥٦/م لمصطفى أغا من أعيان المتفرقة[٦٣]. وقد لاحظ ذلك أيضاً الشماس كامل نخلة الذى ذكر أنه قد تم دفن البابا مرقص السادس (رقم ١٠١ في تولى كرسى البطريركية) في يوم الجمعة ٢٠ أبريل ١٦٥٦م، وأقاموا له حفلاً كبيرا وتم دفنه في مدفن البطاركة بكنيسة القديس مرقوريوس (أبى سيفين) بمصر القديمة[٦٤].

وأما عن أهم الأضرحة التى ترددت أمامنا، مقام سيدى على الجمل والشيخ محمد الكندى بخط دار النحاس، وضريح الشيخ نور الدين على بحارة الجمالة بفم الخليج، وضريح سيدى على الجعجعى بحمام جمدار، وضريح الشيخة هنيدة جنوب المجراة السلطانية وضريح سيدى أبى السعود الجارحى بكوم الجارح.... إلخ.

ونلاحظ أن هناك اهتماما من جانب إدارة مصر القديمة للحفاظ على أساسات وهياكل هذه الأضرحة. ففى عام ١٠٥٩هـ١٦٤٩/م

طلب الأمير سليمان صوباشي مصر القديمة، الكشف على مقام العارف بالله تعالى الشيخ على الجمل الكاين ضريحه بالحجارين بخط دار النحاس - كما تقدم - وعندما حدث الكشف وجدت به محلات تحتاج للعمارة ولا توجد مصابيح للإنارة، وبجواره من الجهة الغربية أماكن خراب وأثر لم يعلم لها ملاك(٦٥).

٣ - الكنائس والأديرة:

نميل إلى تسمية مصر القديمة خاصة منطقة قصر الشمع "مستودع كنائس" إشارة إلى العديد من الكنائس التي تنتشر بها، التي يعود أغلبها إلى ما قبل العصر العثماني، فلا ننس أن مصر كان لها قصب السبق في المسيحية، فعلى أرضها نشأت الكنائس والأديرة، بل إن أول دير للمسيحية كان في صعيد مصر قرب دندرة، وقد استمرت معظم هذه الكنائس تمارس نشاطها حتى يومنا هذا.

ومنطقة الكنائس القبطية هذه المسماة بقصر الشمع يطلق عليها في العصور الفرعونية اسم [خرى عحا] أي ميدان الحرب حيث يوجد الحصن الروماني بابليون، ويروى أن أغلب كنائس النصارى هذه قد بنيت في عهد الفاطميين(٦٦).

واستهوت منطقة الكنائس هذه العديد من الرحالة الأجانب فيقول الرحالة نتزو إن مدينة بابليون (مصر القديمة) بها العديد من الكنائس زمن الأتراك، وهي بديعة الصنعة من الداخل، تحوى رخاماً مصقولاً وبها قناديل في جهات كثيرة، واهتم الأتراك بهذه

المقدسات وأولوها الخدمات الدينية[٦٧]. وزارها أيضا خلال القرن الرحالة (جوهان ويلد Johann Wild) والرحالة جورج ساندى George Sandysوغيرهم ممن قاموا بجولات في المنطقة وسجلوا مشاهداتهم وأخبار رحلاتهم هذه:

وقد أجمع هؤلاء الرحالة على إحصاء كنائس مصر القديمة، وقالوا إن بها نحو ثلاث أو أربع كنائس، وهو رقم يكاد يقترب للحقيقة إلى حد ما، فهى تحوى أكثر من خمس كنائس تقريبًا كبرى إضافة إلى الكنائس الصغرى التابعة لها، وعمومًا أى تحديد لها سوف يأخذ صفة التقديرية، لأن هؤلاء الرحالة أنفسهم لا يتفقون على رقم معين، بل إن بعضهم يذكر صراحة تهدم بعض هذه الكنائس[٦٨].

وأشهر هذه الكنائس على الإطلاق كنيسة المعلقة (السيدة العذراء) داخل حارة النصارى، وهى من الآثار القبطية الخالدة، وتحمل رقم (٥٧٠) بين آثار المنطقة، وقد عرفت بالمعلقة لأنها مشيدة فوق الحصن الرومانى وأغلب الظن أنها بنيت في أواخر القرن الرابع أو بداية الخامس الميلادى وبناؤها فوق أحد أبراج حصن بابليون يعتبر رمزًا لانتصار المسيحية على طغيان الرومان وجبروتهم، تبلغ مساحة هذه الكنيسة حوالى ٣٢,٥ × ١٨,٥ متر، وارتفاعها ٩,٥ متر على صحن ينقسم إلى أربعة أقسام[٦٩].

وقدم لنا الرحالة نتزوشيتز وصفًا تفصيليًا للمعلقة عندما زارها عام ١٦٣٦م، ونزل إلى أسفل الكنيسة بعدما أوقد شمعة حتى

يتفحصها جيداً فوجد خزينة عميقة مرصعة بالرخام، وموقد صغير ومطبخ، وبئر قيل إن السيدة مريم العذراء أخذت جزءاً من هذه البئر لتغسل المسيح به، ووجد حفرة على هيئة فرن لعمل الخبز وطهى الطعام، وأمام هذا الفرن قطعة رخامية مربعة بيضاء اللون مكتوب بوسطها كلمة " القداس La messc"(٧٠) ويوضح وصف نتزوشيتز هذا مدى الحالة المعمارية الجيدة التى عليها المعلقة، وهى الحالة التى تؤكدها أيضاً وثائق القرن بعام ١٠٥٤هـ١٦٤٤ /م ثم بعد ذلك بفترة كبيرة عام ١٠٧٨هـ١٦٦٨ /م(٧١)، والحالة المعمارية الجيدة لا تنطبق على كنيسة المعلقة وحدها بل على كافة كنائس مصر القديمة، والجدير بالذكر أن شهرة المعلقة تعود إلى نقل الكرسى المرقسى من مدينة الإسكندرية في القرن ١١م على يد الأنبا خرستودلوس البطريرك ٦٦، واستمر الكرسى بها مدة طويلة إلى أن تم نقله إلى كنيسة أبى سيفين (مرقوريوس) في القرن ١٤م، وأيضاً اجتمع بها بعض المجامع الإكليريكية في القرن ١٢م(٧٢).

أما كنيسة أبى سرجة فهى لا تقل أهمية من الوجهتين التاريخية والفنية عن المعلقة، وهي تقع وسط الحصن الرومانى تقريباً (بجوار المتحف القبطى الآن)، وهناك شبه إجماع على أنها شيدت في المكان الذى أقامت فيه العائلة المقدسة لما هربت من وجه الملك اليهودى هيروذوس، وسميت " بأبى سرجة " لأنها أنشئت باسم (سرجيوس) و (أخيس) وهما جنديان مشهوران استشهدا بجهة الرصافة بسوريا في أوائل القرن ٤م في عهد الإمبراطور

مكسيمانوس[٧٣]. ويذكر نتزوشيتز مسمى آخر لأبى سرجة وهو Pella Madonna[٧٤] وهى مستطيلة الشكل حوالى ٢٨,٤٠ x ١٦,٤٠ متر وارتفاعها حوالى ١٥ متراً وهى على عمق ثلاثة أمتار عن مستوى الشارع، وهى بذلك شاهقة الارتفاع والنصارى كانوا دائماً يقومون خلال القرن بعمل تجديدات وترميمات لها على حساب الجوامع والزوايا المجاورة لها خاصة جامع النعمانية، فقد أخذوا أعمدة وأخشاب النعمانية وعمروا به الجانب القبلى من الكنيسة وتركوا الجامع خراباً[٧٥]. وأقروا لها ناظراً يرعى شئونها ويتولى إدارة الأوقاف المرصودة لها لضمان استمرار العبادة بها وتأدية الطقوس الكنسية، والملاحظ أنها كانت تختص بالمسيحيين القدامى أو الأقباط (Copts)[٧٦] كما ترى المصادر، وقد رأى تفنو أثناء زيارته لها معبداً صغيراً ومنخفضاً جداً أسفل هذه الكنيسة، قيل إن السيدة العذراء أقامت فيه وقتاً طويلاً ومعها المسيح عيسى[٧٧].

وارتبط تاريخ كنيسة أبى سرجة بكنيسة أخرى هى كنيسة القديسة بربارة أو الست بربارة التى تقع بالقرب منها داخل سور حصن بابليون (قرب المتحف القبطى الآن)، والتاريخ المشترك بينهما جاء منذ البداية وعندما تأسست هذه الكنيسة في أواخر القرن ٤ أو أوائل القرن ٥م وسميت باسم السيدة بربارة التى ولدت في القرن الثالث الميلادى وسط أسرة غنية وثنية، واعتنقت المسيحية على يد العلامة المصرى "أوريجانس" الأمر الذى أغضب

والدها فقتلها فحملت الكنيسة اسمها تخليداً لها، ولكن حدث أن تهدمت الكنيسة في القرن العاشر وأعاد بناءها هى وكنيسة أبى سرجة شخص يدعى يوحنا بن الايح وكان ذا حظوة لدى الخلفاء الفاطميين، ورغم ذلك لم تشفع له هذه الحظوة عندما أعاد بناء كنيسة أبى سرجة وكنيسة بربارة رغم أنه أخذ تصريح فقط ببناء كنيسة واحدة لذلك أمر الخليفة الفاطمى بهدم إحدى الكنيستين وكلف وزيره الذى صار يتنقل من الواحدة إلى الأخرى ليختار واحدة منهما، ولم يستقر على حال فلما أعياه التعب سقط ميتا، فبلغ الخليفة ما حدث فأمر بترك الكنيستين وقال " أنا أمرت ببناء واحدة والأخرى دية له "(٧٨).

وجاء شكل الكنيسة على هيئة مستطيل حوالى ٢٦ × ١٤,٥ متر وارتفاع ١٥ متراً، ويفصل صحن الكنيسة عن الجناحين القبلى والبحرى وعن الجناح الغربى المقابل للهياكل ثلاثة صفوف من الأعمدة الرخامية، وبها منبر مماثل لمنبر أبى سرجة(٧٩). وعلى هذا تعد كنيسة الست بزبارة من أجمل كنائس مصر القديمة قاطبة.

ومن الكنائس الزائعة الصيت أيضا كنيسة أبى سفين التى تحمل رقم (٤١٧) ضمن آثار المنطقة، وتقع شمال حصن بابليون، وهى تحمل اسم الشهيد القديس مرقوريوس المعروف بأبى سيفين كان ضابطًا بالجيش الرومانى واعتنق المسيحية واستشهد بسبب ذلك عام ٣٦٥م، فسميت باسمه، وتهدمت أكثر من مرة وأعيد بناؤها زمن المعز لدين الله الفاطمى ثم أحرقت ضمن حريق الفسطاط وتم

ترميمها بالطوب وشيدت بها القباب، بل شهدت تجديدات جمة خلال القرن السابع عشر شملت الوجه والداخل(٨٠). ولا ننس أنها لفترات من الزمن قد تبوأت دور الزعامة على كنائس مصر المحروسة عندما انتقل إليها الكرسى المرقسى في القرن الرابع الميلادى.

ورأينا كنائس أخرى بالمنطقة مثل كنيسة شنودة وكنيسة القلاية، وكنيسة تتعلق باليهود أو المعبد اليهودى، وقد ذكر على مبارك في خططه " أن لليهود نحو ١١ كنيسة، واحدة منها بقصر الشمع وهى أقدمهم "(٨١). وكنيسة سيدة النصارى ومارى جرجس وكنيسة بابليون السروج التى تولى نظارتها الذمى بيلاطس بن عاذر ابن عبد رب المسيح في منتصف القرن السابع عشر(٨٢).

وكان للمدينة نصيب وافر للأديرة كما كان للكنائس، فانتشر بقصر الشمع العديد من الأديرة مثل دير مارى جرجس أو دير البنات السفلى المعروف بدير سكندرة وهو للقديس سان جورج Saint: George صمم بطريقة جيدة فوق ربوة مرتفعة، وقد زاره تفنو ورصد به عدة قضبان حديدية الواحد فوق الآخر، يحوى مصباحًا (قنديلا) كبيراً وعموداً ضخمًا توجد أعلاه شعلة من النار قيل إنها من القديس سان جورج، ومن الطريف - كما يروى تفنو - أن اليونانيين القاطنين بالدير يقولون بوجود ذراع تظهر فجأة ثم تهبط، ولكننى شخصيًا لم أرها مطلقًا أثناء زيارتى(٨٣). وقد صدرت العديد من الأوقاف لصالح الدير قام

بتنظيمها المعلم دريهم بن يوحنا الخياط الذى تولى نظارة وقف فقراء دير البنات في النصف الثانى من القرن(٨٤). وخصص حوشًا خاصا للدير لإسكان من يزى فيهم أهلاً له وأطلق عليه "حوش دير البنات"(٨٥). ووجد دير للنصارى الأروام الملكية شاهق البناء، وقد أضيفت له بعض الأبنية الجديدة في النصف الثانى من القرن(٨٦).

أما دير مارى مينا بفم الخليج الذى أشرنا إليه منذ قليل، دائمًا مفتوح الباب، يقطن به العديد من الرهبان، حالته جيدة فقد أدخلت عليه بعض الترميمات في النصف الثانى من القرن، وتم بناء العديد من الفساقى داخل أرضيته منذ عام ١٠٥٥هـ١٦٤٥/م بموافقة المعلم بقطر بن غبريال والمعلم ميخائيل بن أيوب ناظر الدير(٨٧)، ودير خضر الأخضر لم يرد عنه الكثير في وثائق القرن سوى أنه بمصر القديمة وقد خصص للنصارى الأروام أيضًا يرعى شئونهم البترك يوانيليوس الذى تولى نظارة الدير في النصف الثانى من القرن السابع عشر، ومن تعلقات الدير خربة بالقاهرة بخط بين السورين بحارة اليهود " عديمة الفائدة مأوى للصوص والحرمية والبلطجية وتضرر منها المار والجار "(٨٨)، على حد تعبير المصادر.

وهكذا توافر للمدينة العديد من المنشآت الدينية سواء أكانت إسلامية أم قبطية، من مساجد وزوايا أو كنائس وأديرة ظلت عامرة خلال القرن السابع عشر وفيما بعد تنطق بمهارة المعماريين المهرة، وخير دليل على التراث الإسلامى والقبطى على أرضها.

ثانياً : المنشآت الاجتماعية :

١ - الوحدات السكنية :

هناك العديد من الدراسات ألقت الضوء على المساكن في مصر العثمانية سواء المنازل أو الرباع والأحواش والأزقة وغيرها ، مثال لذلك دراسات " أندريه ريمون " عن القاهرة العثمانية وكذلك دراسات الدكتورة " نيللى حنا " المعمارية عن القاهرة أيضاً ، ومن خلال كتابات هؤلاء وغيرهم وسجلات المحاكم الشرعية وجدنا أن أغلب الوحدات السكنية تجلت في البيوت الخاصة وبجانبها وجدت الرباع التى كانت في الغالب يسكنها الحرفيون وتبنى فوق منشأة تجارية أو خيرية ، أما الأحواش فكانت قبلة الفقراء ، وسواء الرباع أو الأحواش أخذ كل منها مسمى " المساكن المشتركة "(٨٩) .

ومنازل الفسطاط منذ البداية كانت متواضعة كدار عمرو بن العاص وابنه عبد الله ، ودور حكام مصر الأوائل ، ولكن بمرور الزمن أخذت طور العمارة الأنيقة وظهرت قصور الأمراء ، إلا أن الكبوات التى تعرضت لها المدينة من حرائق ومجاعات وأوبئة أضرت بالمبانى والوجه المعمارية للعديد منها ، وتحولت إلى خرائب وهو ما أطلقنا عليه في البداية " خرائب الفسطاط " التى امتدت إليها يد العمران بعد ذلك لتعيدها إلى سيرتها الأولى .

ونتيجة لهذا العمران شيدت العديد من المنازل بمصر القديمة سواء منازل الأمراء (منزل الأمير عبدى بيك أمير اللوا السلطانى بمصر القديمة في منتصف القرن السابع عشر) و (منزل السادات

الوفائية كالشيخ عبد الفتاح أو الأكرم ونجلية عبد الرازق أبو العطا وشمس الدين) ومنازل الميسورين مثل (عائلة الخولى بحمام جمدار) و (عائلة البديوى بفم الخليج) ومنازل عائلة جوربجى أمثال محمد وأخية يوسف وهما من الأمراء المتحدثين على خطب المطبخ السلطانى، ناهيك عن منازل الصوباشية وقضاة المذاهب الأربعة بالمدينة، وهناك منازل البسطاء من الناس وهي بيوت يغلب عليها البساطه.. والقدم، حتى إن الرحالة نتزو عندما رآها قال عنها "هى عبارة عن أكواخ أو عشش، يغلب عليها البساطة، وبعضها صغير فوق ربوة" ويفضل تسميتها بأكواخ أو عشش بابليون(٩٠).

ومنازل مصر القديمة عبارة عن طابق واحد أو طابقين على الأكثر تشتمل على قاعات أرضية مُسقفها غشيماً (بسعف النخيل أو جذوع الأشجار) ودهليز مسقف أيضاً غشيماً وسلم يصعد منه إلى الطابق العلوى ويواجه السلم في هذا الطابق فسحة كشف سماوى (أى غير مسقفة)، وعلى يمين الصاعد طبقة حبيس مسقفة غشيماً بها باب مربع، وهذا الوصف الدقيق هو نموذج أخذناه لمنازل مصر القديمة، وهو منزل الحاج على بن عبد الخالق التراس بعنبر مصر القديمة، وهو منزل على حالة معمارية جيدة ومشيد على مساحة نحو ١٢ سهماً(٩١)، ولا يعنى ذلك أن تخطيط منازل المدينة قد صار على هذا المنوال فقط، بل عثرنا على العشرات، بل المئات من المنازل داخل بطون السجلات بأوصاف مختلفة، فمنها ما يحتوى على أروقة أو حواصل (مخازن) خاصة لخزن الغلال وقاعات عديدة

إضافة إلى المنافع والمرافق بل لاحظنا أن الأفران كانت تلحق مباشرة ببعض المنازل مثل منزل المعلم محمد بن سليمان الحطاب بحارة الجمالة بفم الخليج(٩٢)، وأحيانا كانت الحجرات العليا تبنى بطرق معمارية تمتد ببروز فوق الشارع سواء بالأحجار أو الأخشاب(٩٣).

أما عن مواد البناء التى استخدمها أهل مصر القديمة عندما شرعوا في بناء مساكنهم، فشملت الطوب اللبن والطوب الآجر والدبش والمون، ومعظم المنازل التى عثرنا عليها في بطون السجلات في آخر منطقة تم تعميرها في فترة الدراسة وهى المنطقة المسماة "بالكفر المستجد بجوار الشيخ شهاب المجذوب بأطراف حمام جمدار" جميعها استخدم أدوات البناء هذه(٩٤)، ويرى ألبير جبرييل وعلى بهجت في حفريات الفسطاط: أن المنازل التى تبنى بالدبش يرمى أساسها بغير نظام على هيئة مداميك من الدبش داخل حفائر الأساس، في حين أن الأساس المبنى بالآجر يغلب عليه أن حفره قليلة العمق ويرمى الآجر هذا على هيئة مداميك منظمة ويسقى بمونة الجير والرمل(٩٥). وكان الآجر المستعمل في الفسطاط أحمر داكنًا ومتجانسًا مستوفيًا الحريق شديد الصلابة.

وكانت إدارة مصر القديمة تهتم بحماية أى منشآت عمرانية بصفة عامة والمنازل بصفة خاصة، وتحرص دائمًا على سلامة أسسها وهيكلها حتى تضمن سلامة ساكنيها وكذلك المارة في الشارع، وقد تجلى ذلك في الشكوى التى رفعها الشيخ الشهابى أحمد الشهير بابن زرعة القادرى خليفة السادة القادرية بمصر القديمة عام

١٠٥٤هـ/١٦٤٤م إلى الحاكم الشرعي بالمدينة مضمونها " إن بجوار منزله الكاين بحارة القدسية (الخلالة) بخط حمام جمدار قرب الحارة المستجدة توجد تربة مهجورة هي تربة الشيخ سعد الدين وداخل أرضها أصل نخل طويل آيل للسقوط ومائل على منزله، وكلما يقوم الهواء يضرب حائط منزله ويهدم ما بها من طوب وأحجار، وفي ذلك ضرر له وتهديد للمارة ...... "(٩٦). فأمر الحاكم الشرعي بالكشف عن ذلك وفعل ما يلزم.

وكما ذكرنا في بداية هذا الفصل أن الإدارة كانت تملّك لمن يرغب في التعمير أماكن الخراب لبناء منازل صالحة للسكنى أو غيرها، ورأينا منطقة كفر الشيخ شهاب المجذوب بظهر حمام جمدار كيف كانت أرضًا بوارًا ثم ظهرت فيها العديد من المنازل (منزل دويدار الطحان - منزل الحاج عبد الرحمن السملي وغيرهما)، ولم يقف دورها عند هذا الحد بل كانت تشجع على إزالة الأبنية القديمة وإحلال أخرى محلها، فقد كانت هناك العديد من المنازل القديمة التي رآها الرحالة جوهان ويلد أثناء جولاته داخل المدينة في بداية القرن [1606-1610](٩٧)، وردد بأسى " إن منازل المدينة قديمة جداً وعلى طراز قديم، وأن المباني الجميلة أغلبها تهدمت "، وكأن العديد من أهل مصر القديمة قد سمعوا صيحة ويلد هذه، فأنبرى الكثيرون يتسابقون في تملك تلك الأبنية القديمة وإعادة بنائها من جديد، ومن هؤلاء الأمير بهرام شربجي بن الأمير يوسف القاطن بمصر القديمة الذى تملك بحجة شرعية من محكمة قناطر السباع عام

١٠٤٥هـ١٦٣٥ /م أماكن قديمة البناء بدار النحاس وراح يزيل الأبنية والأتربة وينقلها بعيداً، وعمرها تعميراً جعلها صالحة للسكن والاستغلال على نفقته الخاصة(٩٨).

أما الرباع فهي نموذج للسكن الجماعي مبتكر للغاية، وقد خصص لسكنى أفراد الطبقة المتوسطة (البورجوازية)، وهو من المنشآت القديمة التي ثبت وجودها في العصر المملوكي وانتشرت في مصر العثمانية وكان لمصر القديمة نصيب منها، وقد وجد نوعان من الرباع - كما يرى أندريه ريمون(٩٩)، الأول: يتكون من طابقين أو ثلاثة فوق الدور الأرضي الذي يضم حوانيت ومخازن (حواصل)، مثل ربع بحمام جمدار تجاه جامع السويدية أعلى حانوت ترك العلاف(١٠٠). والثاني: فوق وكالة ويضم أيضاً طابقين أو ثلاثة، وفي الحالتين لا يوجد اختلاف في مبادئ بناء الشقق أو وجود الطوابق والأروقة وكذلك السلالم الداخلية.

وعموماً تكثر الرباع قرب الأسواق وتزدحم بالسكان، فتذكر الوثائق وجود ربع بسوق حمام جمدار في النصف الثاني من القرن يسمى " ربع القاياتي " المكتظ بالسكان(١٠١).

ولقد تمكنا من تحديد نحو ١٢ ربعاً في المدينة، ولكننا نعتقد بوجود رقم أعلى من ذلك لوجود حلقات مفقودة في سجلات العصر رغم محاولتنا المضنية للتقريب، وبوجه عام هو رقم معقول بالنسبة للرقم الذي توصل إليه أندريه ريمون لرباع القاهرة المعزية (٣٦) ربعاً، ويرى أن كل ربع يقطن به حوالي مائة شخص، فإن كان الأمر

كذلك، فلنا أن نتصور تعداداً لسكان مصر القديمة في ضوء ذلك بجانب الوحدات السكنية الأخرى.

فمن هذه الربوع (ربع الخروبي) بحمام جمدار - نسبة إلى بدر الدين الخروبي - وقد تم تأجيره للأمير سليمان بن مصطفى من أمراء مصر المحروسة عام ١٠١٣هـ١٦٠٣/م لمدة ثلاثة عقود (٩ سنوات) نظير مبلغ ٢٤٠ نصف فضة يدفعها كل شهر من هذه المدة، واشترط عليه رعاية الربع وعمارته أو ترميمه إذا لزم الأمر(١٠٢)، وكان بواب الربع بمثابة أمين الدرك له يزج عنه أي خطر يهدده من سطو أو سرقة مثلما فعل بواب " ربع بن الأعرج " عام ١٠١٥هـ١٦٠٥/م(١٠٣).

أما ربع الكريدي فقد أنشيء فوق مطهرة الجامع المنصوري بخط دار النحاس على مساحة ١٢ سهماً، وتذكر الوثائق أنه ضمن أملاك الشيخ عبد الرازق أبو العطا بن وفا الذي قام بتأجيره عام ١٠٧١هـ١٦٦١/م ولمدة ثلاث سنوات هلالية للنوري علي بن الشيخ عبد الله الجيزي(١٠٤).

ولاحظنا أن معظم ربوع مصر القديمة قد انتشرت في دار النحاس وحمام جمدار، ذلك لأنهما أكثر مناطقها سكاناً إضافة إلى انتشار الحرف بها فلا ننس أن الربوع أغلب سكانها حرفيون، أما أصحابها فأغلبهم من السادة والأمراء مثل ربع عبد الرازق بن وفا - كما تقدم - وربع المنصوري لسيدي أحمد الينكجري وربع سيدي محمد المدادي الوفائي، ووجدنا ربع لأحد النصاري بالمنطقة نعني "ربع

ميرهم النصراني قرب شونة مصر القديمة[١٠٥] . وقد تعرضت إحدى مساكنه للسرقة عام ١٠٥٦هـ١٦٤٦ /م وآلت ملكية هذا الربع بعد ذلك إلى عبد الحق السعودى، ولاحظنا أيضاً أن أغلب سكان الربع من الطائفة الرومية بالمدينة أمثال الزينى عثمان الرومى ويوسف الرومى الذين لم يتورعوا عن شرب الخمر وارتكاب الزنا داخل الربع، وتذكر الوثائق بأن " ربع ميرهم سابقاً وعبد الحق السعودى الآن قرب الشونة الشريفة بمصر القديمة وكر للفاحشة يجتمع فيه الرجال مع النساء الخاطيات.... "[١٠٦].

أما الحوش وهو النموذج الثانى للسكن الجماعى، فقد تأكد أندريه ريمون من وجوده بمصر، وأحواش القاهرة عبارة عن ساحات واسعة أو أماكن مسورة مليئة بالأكواخ التى يبلغ ارتفاعها أربعة أقدام يقيم فيها جمهور الفقراء مع حيواناتهم، وأغلب الأحواش مكشوفة[١٠٧] . وظهرت هذه النماذج السكنية داخل مصر القديمة لانتشار العديد من الفقراء بها سواء مسلمون أو نصارى، فعثرنا على حوش داخل قصر الشمع يدعى " حوش دير البنات " لإقامة فقراء النصارى، وبنفس المنطقة العديد من الأحواش مثل " الحوش الجارى في وقف سيدى أبي السعود الجارحى والإمام الشافعى "[١٠٨] . وبدار النحاس " حوش عصفور "[١٠٩] . وما لفت انتباهنا عند دراسة أحواش مصر القديمة أن وجدنا أغلبها ساحات ضيقة على غير العادة، فالبعض منها لا يتعدى ١٢ سهماً وهى مكشوفة والقليل منها مسقفاً، وبعضها يحوى بجانب الوحدات السكنية

حواصل (مخازن) يقوم فقراء الحوش بتخزين حبوبهم وأسبابهم داخلها، وقد بلغ ثمن أحداهم نحو ١٤٠ نصف فضة، في حين بلغ الإيجار لأحد هذه الأحواش نحو ٥٠ نصف فضة عن كل سنة من الإيجار في النصف الأول من القرن(١١٠).

أما الأروقة فقد انتشرت بمصر القديمة على نطاق واسع ودائماً ما يتكون من عدة طاقات إضافة إلى المرافق والمنافع، وهو مكان يصلح للسكنى والإقامة الدائمة، فقد استأجر حجازى بن نوفل رواق بحمام جمدار من المرأة زينب ابنة المرحوم علي بجميع مكوناته لينتفع به في السكنى لمدة ثلاثة عقود وستة أيام نظير ٢٥٠ قرشاً عن كل شهر(١١١).

٢ - **منشآت أخرى:**

وبجانب الوحدات السكنية وجدت عدة منشآت اجتماعية بالمدينة منها الحمامات والمقاهى والأسبلة، والحمامات كانت ضرورة ملحة في مصر القديمة نظراً لارتفاع درجات الحرارة بها وهو أمر قد أشار إليه الرحالة عندما زاروا المدينة، حتى قيل إن الحرارة بها في بعض الأوقات كانت تصل إلى ٤٠ ٥، لذلك كثرت الحمامات في المدينة يستخدمها الجنسان على السواء، وقد ذكر أندريه ريمون أن الرحالة التركى أوليا جلبى قد وضع رقماً لتعداد حمامات القاهرة وهو (٥٥ حماماً) وهو رقم يرى ريمون أنه غير صحيح خاصة أن المؤرخ أحمد شلبى بن عبد الغنى قد ذكر أنه يوجد بالقاهرة عام ١٧٢٣م نحو ٧٣ حماماً، ويضيف ريمون حمامين آخرين ليصل عدد

حمامات القاهرة نحو ٧٥ حماماً منها حمامان بمصر القديمة[١١٢].
وتؤكد وثائق القرن السابع عشر أنه يوجد بمصر القديمة أكثر من ٨ حمامات ما بين حمامات عامة - كما ذكر أندريه ريمون - وحمامات خاصة لبعض الأشخاص، وقمنا بتحديد هذه الحمامات وأماكنها في الجدول التالي:

الحمام	موقعه
حمام جمدار	يسمى الخط بإسمه وهو قرب جامع عمرو
	خط دار النحاس
حمام عبد الرازق أبو العطا	خط جامع الحسنات
حمام أمير الدين بن عبد الغنى الخوجى	خط دار النحاس
حمام السادات الوفائية	لم تحدد الوثائق موقعه بالمدينة
حمام جنة	خط دار النحاس
حمام شمس الدين محمد أبو الفضل	خط دار النحاس
حمام "عامر بن عبد الله الوفائى - زين الدين صالح الوفائى"	بمصر القديمة
حمام العوافى	خلف دار النحاس
حمام السادة الأربعين	

وتتكون أغلب حمامات مصر القديمة كالعادة من مسلخ وبيت أول وبيت حرارة ومغاطس ودشوت ومستوقد[١١٣]. وكانت عملية بيع واستئجار هذه الحمامات تتم بشكل طبيعي داخل المدينة.

أما الأسبلة فهي من المنشآت الاجتماعية والدينية على حد سواء، اجتماعية لأنها في خدمة الجميع ويتوافر عليها العديد من سكان المدينة، ودينية لأنها مخصصة للمارة وأبناء السبيل، ووجد العديد من الأسبلة هنا قد انتشرت بخط حمام جمدار ودار النحاس وفم الخليج، فيقوم السقايؤون بحمل مياه النيل وصبها في هذه الأسبلة

نظير أجر معلوم، وكان سبيل الحلفاوى بحمام جمدار أشهر أسبلة مصر القديمة قاطبة(١١٤). والمقاهى قد انتشرت بخط جامع عمرو خاصة بعد شيوع شرب القهوة بالمدينة، وقد امتلك الجامع العديد منها في صورة أوقاف من جانب أهل البر(١١٥).

خطط مصر القديمة:

دراسة الخطط من الدراسات التى تواجه العديد من الصعوبات خاصة بعد زمن المقريزى، فأغلب كتب الخطط في حقيقتها لم تكن على نفس قيمة خطط المقريزى، وهي في مجملها تعتمد عليه سواء من قريب أو بعيد، ويعترف بعض الباحثين أنه لم توجد كتب اختصت بالخطط سوى ثلاثة فقط اختصت بذكر الخطط في فصول من كتبها مثلما فعل أبو المحاسن يوسف ابن تغرى بردى تلميذ المقريزى المتوفى سنة ٨٧٤هـ/١٤٧٠م حيث خصص فصلاً من كتابه "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" للحديث عن خطط القاهرة وتأسيسها في العصر الفاطمى، وكتاب السيوطى "حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة" فيه بعض المعلومات الطبوغرافية عن مصر القاهرة ومعالمها الأثرية، وكتاب "التحفة الفاخرة في ذكر رسوم خطوط القاهرة" ألفه شخص يدعى أقبغا الخاصكى، ألفه للسلطان الأشرف قانصوة الغورى وهو محفوظ بالمكتبة الأهلية في باريس(١١٦).

أما مؤرخو العصر العثمانى فقد اكتفوا باستعادة معلومات خطط المقريزى مثلما فعل ابن أبى السرور البكرى في "قطف الأزهار"

وغيرها ، لذلك حاولنا من جانبنا أن نسلط الضوء على تخطيط مصر القديمة خاصة أن خططها قد تعرضت للتغيير أكثر من مرة وهذه سُنة التاريخ بالطبع ، وهو الأمر الذى جعل خريطة المدينة قد طرأت عليها بعض التغيرات .

وربما يسأل سائل ، لماذا نعالج الآن خطط المدينة وتحديدها رغم أن هذا لابد من التعرض له منذ البداية ؟ والإجابة في بساطة شديدة هى حدوث عمران بالمدينة قد تعرضنا له في البداية وهو أمر قد أوجد تغييراً في خطط المدينة وحاراتها ، حيث ظهرت أماكن جديدة حضرية بالمدينة بعدما كانت خرابًا .

وقد رصدنا خطط مصر القديمة وكذا الحوارى بها وما يتبعها من ثنايا السجلات في الجدول الآتى :

الخط	ما به من حارات	عطفة	درب	خوخة
حمام جمدار	المنعلم حسين-المغربلين-منصورين مرعى- ابن وفا العلاف-ابن ميلم-كشك-سويقة سنوار-أبى سعيدة المغربى-عبدى بيك-المستجدة (الجنينة سابقا)-الميامنة-الشرفا-النصارى والبترك-القدسية (الخلالة)-حارة يحيى بن سلطان بالكفر المستجد.			خوخة ابن الاعرج
دار النحاس	رزير-عمر كشك-العياط-السرامنة-ابن قميحة-رزنة		درب الحجارين	
فم الخليج	الكيزانية-الدخامسة-البرديني-الجمالة-الجيباس-الحاج طه-حارة السكر والليمون-السيدة هنيدة-حارة البرديني-	بياسينة ياسين-المعلم سليمان الخولى		خوخة الهيتمى
خط بين الأفران "خط الخشابين سابقا"				

الخط	ما به من حارات	عطفة	درب	خوخة
خط حمام العوافى				
خط ساعى البحر				
خط السبع سقايات			درب الكنيسة- درب النخلة	
خط كوم الجارح				خوخة الشيخ محمد الحلفاوى
خط جامع عمرو بن العاص				
خط الحوض الأعوج بفم الخليج				

الجدول السابق يوضح لنا خطط المدينة وحواريها التى حاولنا قدر ما هو متاح بين أيدينا أن نرصد ونحدد مواقعها على خريطة مصر القديمة والتى وضح عليها الخراب في بعض المناطق قبل القرن السابع عشر لاسيما في منطقة أطراف حمام جمدار في شرقى المدينة والتى أطلقت عليها الوثاق اسم " منطقة الخلاء والكيمان" وهى المناطق التى خصتها حفريات الفسطاط وأطلقت عليها " منطقة حلقوم الجمل " التى تتصل بكوم الشقاف (انظر خريطة رقم " ١ " ص٤٨)، وحتى باقى خطط مصر القديمة ظهرت بها بعض الوحدات

السكنية والأجزاء الداخلية تعانى من الإعياء وتحتاج إلى عمليات جراحية حتى تصلح للسكنى، نخص هنا خط كوم الجارح (مسقط رأس أبى السعود الجارحى) وحارة النصارى بقصر الشمع ... إلخ.

وما إن انصرم القرن السادس عشر حتى صدرت الأوامر الشريفة بضرورة تعمير أماكن الخراب بمصر القديمة، وقد تعرضنا إلى العديد منها في بداية هذا الفصل، وشمل هذا العمران الجزء الأكبر من منطقة الخراب التى أشرنا إليها (منطقة أطراف حمام جمدار)، فظهرت فيها الوحدات السكنية المختلفة من منازل وأحواش، وسمعنا فيها عن الحارة المستجدة بل كفر بأكمله يسمى " كفر الشيخ شهاب " وعمّر الجامع القديم الموجود بالمنطقة قبل عمرانها وهو " جامع المسلمية " أو " جامع الدبان " حتى يؤدى أهالى المنطقة شعائرهم الدينية، وفى محاولة من جانبها لربط المنطقة الجديدة المستجدة (منطقة الخلاء والكيمان سابقًا) بسوق حمام جمدار وجامع عمرو، قامت إدارة المدينة بتعمير طريقين (دربين) طولهما يبلغ نحو (خمسة أذرع) يبدآن من موقف الحمارة وحوش عبد الرازق أبو العطا حتى يصلان إلى جامع عمرو وحمام جمدار (انظر خريطة رقم " ٢ " ٤٩).

لا شك أن هذا العمران الذى حدث بالمدينة قد غير خريطة المنطقة، فقد وجدت مناطق جديدة استطعنا أن نسجلها على خريطة المدينة خاصة منطقة كفر الشيخ شهاب التى أصبحت تابعة لخط حمام جمدار والمتاخمة له، فأصبح هذا الخط من أكبر خطط مصر

القديمة مساحة وحارات (انظر الجدول السابق)، ويجب أن نضع في اعتبارنا عدة أمور عند التعرض لخطط مصر القديمة هذه، فقد استطعنا أن نحصر منها نحو تسع خطط في ضوء ما تدلنا عليه وثائق المحاكم الشرعية وكتب الخطط، ولكن ظهر لنا أن بعضاً من هذه الخطط الصغيرة يكون تابعاً للخط الكبير المجاور له بحيث إنه في مواضع كثيرة تشير الوثائق إلى هذا الأمر، فكما هو معين في الخرائط التى بين أيدينا نجد مثلاً خط بين الأفران من الخطط الصغيرة يجاور خط كبير مثل " خط دار النحاس " فهو بالطبع كما تشير الوثائق تابع له، ونفس الشيء بالنسبة لخط حمام العوافى المجاور لخط فم الخليج(١١٧). وكذا خط ساعى البحر المتاخم لخط حمام جمدار، أما خط السبع سقايات الواقع شمال مصر القديمة فهو يمثل حدودها مع قناطر السباع (السيدة زينب) وهو من الخطط ذات الأهمية للمدينة بما يحويه من دروب ومذبح ضخم مخصص للحوم البقر والجاموس، أما منطقة جنوب مصر القديمة ونعنى منطقة الرصد (الشرف) المطل على إسطبل عنتر فهى منطقة تكاد أيدي العمران لم تصل إليها ولم نسمع عن خطٍ واحد من خطط المدينة خلال القرن السابع عشر قد امتد حضارياً إليها رغم أن تاريخ المدينة يذكر أن المنطقة الممتدة من جامع الآثار الشريفة – الذى يقترب إلى حدٍ ما من إسطبل عنتر – حتى دير الطين كانت تمارس بها بعض الأنشطة الاقتصادية في بداية القرن ولكن – في حقيقة الأمر – على نطاق ضيق.

(١) خريطة توضح أماكن الخرائب بمصر القديمة في ق١٧
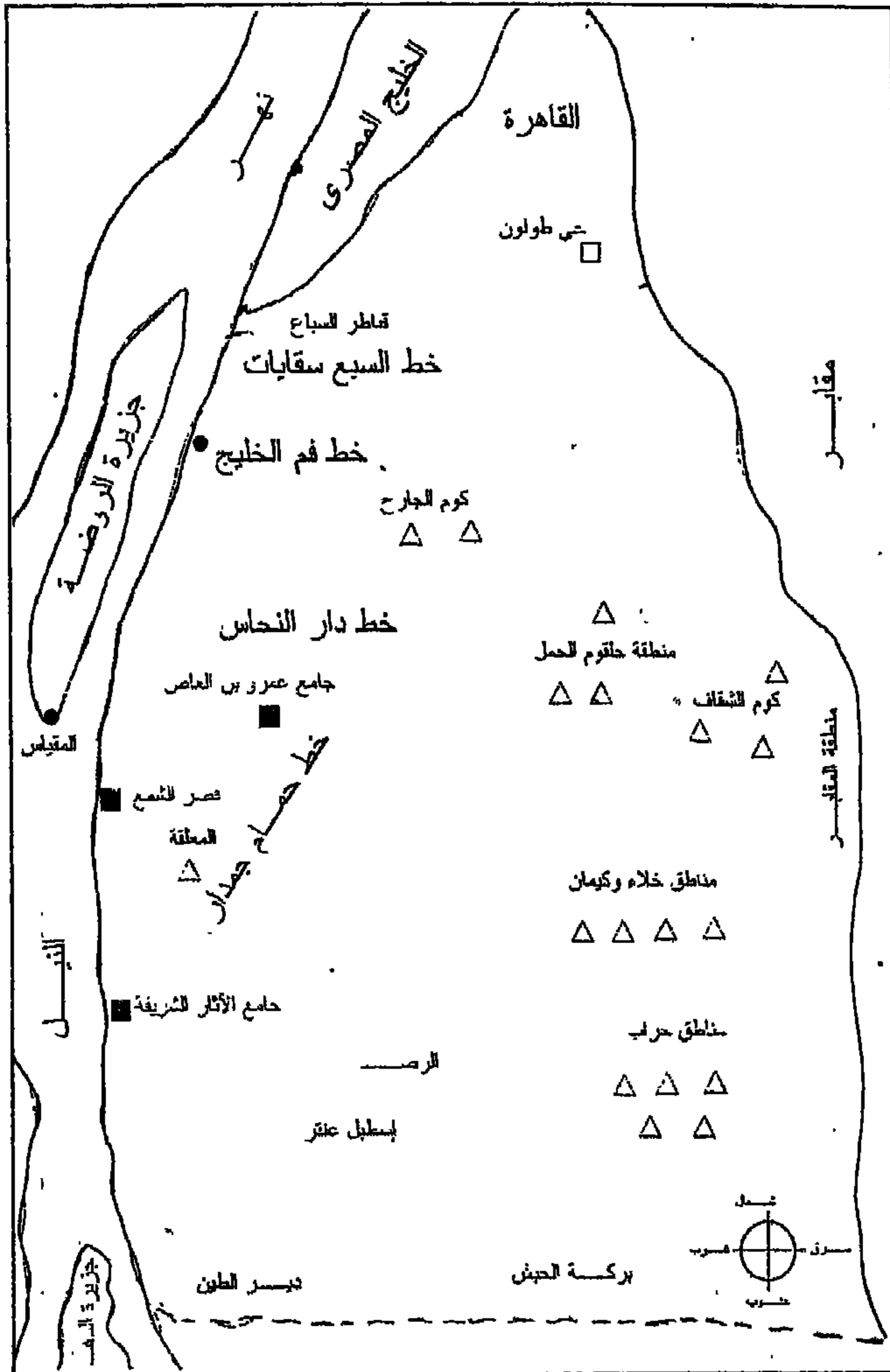
(٢) خريطة توضح أماكن العمران بمصر القديمة خلال ق١٧
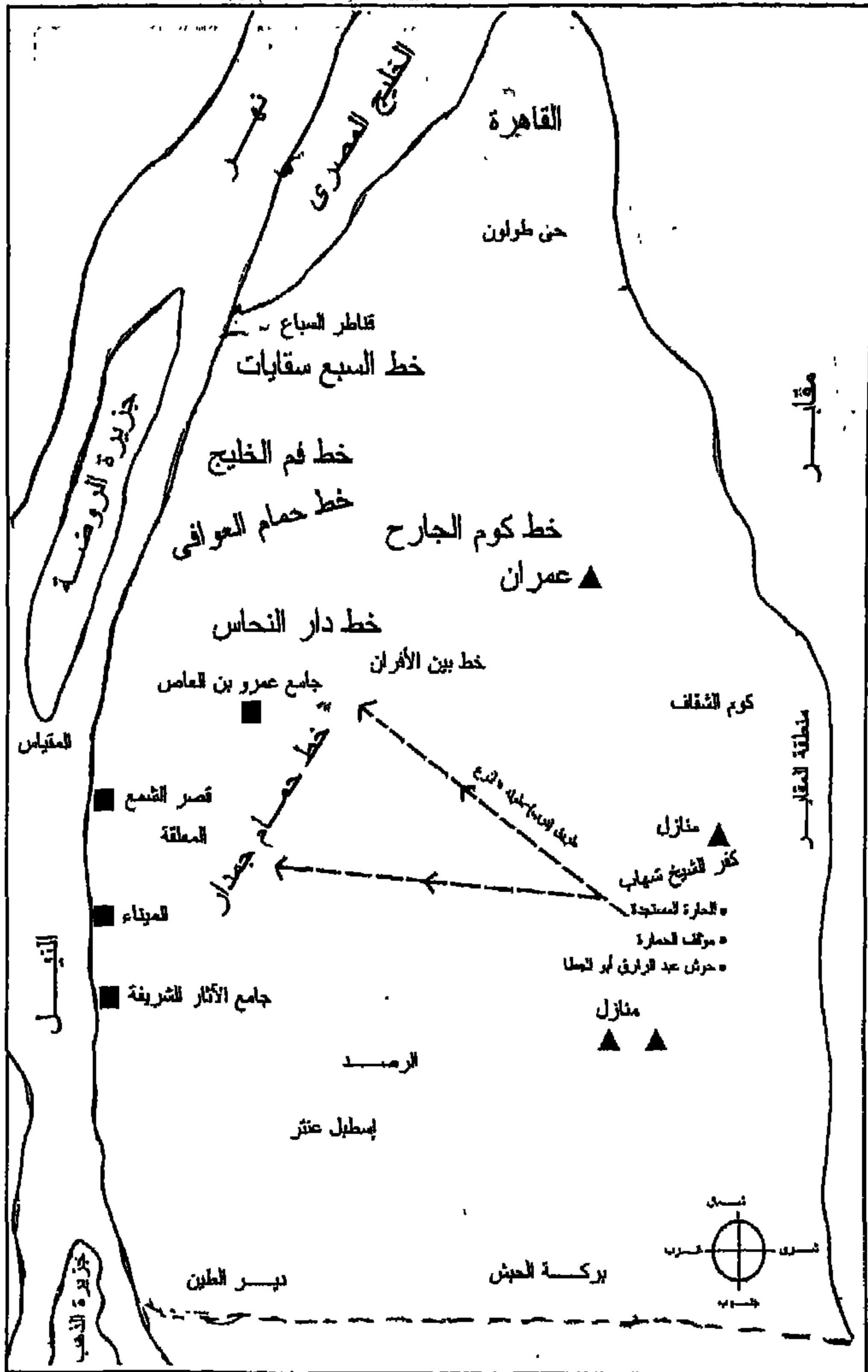
الهوامش

(1) Johann Wild: Voyage en Egypte "1610-1616" ch30 p167.

(2) Gabriel. Premond

وكذلك نفس المعنى الإيطالى انظر:

George Sandys: Voyages en Egypte "1611" p182

(٣) والتي يرى بلان آنها مدينة فرعونية - بيزنطية، أى هى بناء فرعوني-بيزنطي في نفس الوقت. انظر:

Henry.Blunt: Voyege en Egypte "1634-1635" p127

(4) Jacques Albert. Voyage "1634-1635" p138

ومدينة بابليون العتيقة قد شيد فيها حصن " بابليون" ويرجح أنه من إنشاء المصريين القدماء واسمه الأصلى "بى-هابى-ن-أون" Pi-Hapi-N-On، ولكن يرى المستشرق كازانوفا أن الإغريق حرفوه إلى بابليون Bobylone وتبعهم في ذلك الرومان والعرب. جرجى زيدان. المرجع السابق؛ هامش ص١٨١ - انظر: ملحق الأشكال: خريطة توضح التركيب العمراني لبابليون كما رآها كليرجيه.

(5) Gilles Fermanel: Voyage en Egypte "1631". Inprine en 1975. Francais p4!

(٦) ويرى المقريزى أن الذى بنى قصر الشمع هو طخشاشت أحد ملوك الفرس عندما جاء لمصر واستولى عليها، فأراد أن يبنى قصراً للفرس فيه بيت نار على شاطئ النيل الشرقى، وقد عرف بقصر الشمع لأن به باباً يقال له باب الشمع، حيث يوقد فيه الشمع في رأس كل سنة، وفى هذه الليلة إذا دخلت الشمس البروج، يعلم الناس بوقود الشمع أن الشمس نقلت من البرج

الذى كانت فيه إلى برج آخر . انظر : المقريزى. الخطط . جـ٢ ، ص٦١

(٧) المقريزى· المصدر السابق ، ج٢ ، ص ص١٤٩ ، ١٥٠

(٨) يروى السيوطى أن الروضة تطلق في زماننا على الجزيرة التي بين مدينة مصر ومدينة الجيزية أو الجيزة وعرفت أول الإسلام بالجزيرة وجزيرة مصر ثم قيل لها جزيرة الحصن وعرفت بالروضة منذ زمن الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالى إلى اليوم. انظر : السيوطى : حسن المحاضرة، ج٢ ، ص٣٣٦

(٩) على بهجت وألبير جبريل: حفريات الفسطاط ، دار الكتب ، ١٣٤٧هـ١٩٢٨ / م، ص٣١

(١٠) نفسه : ص٣١ - انظر ملحق الأشكال الخاص بمنظر الفسطاط ومواقع الحفر .

(١١) محكمة مصر القديمة : س١٠١ ، م٥٥٥ ، ص٢٠٨- وأيضا محكمة الباب العالى : س١٢٥ ، م١٠٢ ، ص٣٩- وقناطر السباع قد أنشأها الظاهر بيبرس "١٢٥٩-١٢٧٧" وكان موقعها أمام السيدة زينب أمام المسجد الحالى ، وقد ربطت حى السيدة بالحنفى والناصرية من الشمال . انظر : فتحى محمد مصيلحى : المرجع السابق، ص١٢٤

(12) Neitzschitz: Voyages en Egypte "1634-1636". P227

(13) Johann Wild: Voyage, "1610-1616" en 1973. Ch30. P15

وقد لاحظ ذلك أيضا الرحالة (تفنو Thevenot) الذى تجول في المدينة في بداية المنصف الثانى من القرن السابع عشر ، وأعلن أنها مدينة متهدمة ، وما زال يوجد حاليا (أي وقت زيارته) بعض المنازل يسكنها العديد من الناس مبتعدين عن القاهرة الجديدة التى يتكالب عليها الكثيرون . انظر :

M. T. E Thevenot: Voyage De Levant. A. Pris p263

(١٤) انظر ص٤ من مقدمة دراستنا هذه

(١٥) محكمة مصر القديمة : س٩٨ ، م٥٦٥ ، ص١٦٣ .

(١٦) الباب العالى : س١٢٤ . م١٥٢٤ ، ص٣٢٣ - انظر : ملحق رقم (٢)

الخاص بمجموعة الوثائق التي قمنا بنشرها والتي توضح العمران بمصر القديمة خلال ق١٧

(١٧) نفســه: ص٣٢٣

(١٨) محكمة مصر القديمة: س١٠٢، م١٤٧٢، ص٥٦٨

(١٩) نفســه: ص٥٦٨

(٢٠) محكمة مصر القديمة: س١٠٢، م١٢٧، ص٥٦

(٢١) نفسه، م١٢٧، ص٥٦

(٢٢) محكمة مصر القديمة: س١٠٢، م١٨٢٨، ص٦٩١

(٢٣) عبد الرازق أبو العطا بن وفا من أشهر الشخصيات التى ظهرت بمصر القديمة خلال القرن السابع عشر، فقد كثر نشاطه واتسعت دائرة تعاملاته. للمزيد عنه انظر: الفصل الرابع الخاص بالتجارة من هذه الدراسة.

(٢٤) محكمة مصر القديمة: س١٠٤، م١٦٠٢، ص١٣٨٧

(٢٥) محكمة مصر القديمة: س١٠٤، م١٦٠٢، ص١٣٨٧.

(٢٦) محكمة مصر القديمة: س١٠٤، م١٦٠٢، ص١٣٨٧. الذراع يبلغ نحو ٥٠ سم.

(٢٧) محكمة مصر القديمة: س١٠٣، م١٤٠، ص٦٢

(٢٨) محكمة مصر القديمة: س١٠٤، م١٨٢٠، ص١٤٧٣

(٢٩) محكمة قناطر السباع: س١٣٦، م٨٣٣، ص٢١٢

(٣٠) ولفظ عتيق ربما لا يكون حكرا فقط على جامع عمرو. فأهل دمياط يطلقون على أحد مساجدهم لفظ الجامع العتيق أيضا بثغر دمياط. انظر: محكمة دمياط: س١٠٢، م٧٤، ص٣٤ – انظر: ملحق رقم (١) شكل جامع عمرو بن العاص.

(٣١) بدأ ذلك منذ عهد والى مصر سلمة بن مخلد الذى أزاد فيه عام ٥٣هـ، ثم قام عبد العزيز بن مروان عام ٧٩هـ بهدم الجامع عن آخره وأعاد بناءه من جديد، ثم صالح بن على عام ٣٧٩هـ، وغيره للمزيد انظر: أبو الحمد محمود فرغلى: الدليل الموجز. ص ص٦٤، ٦٥. ويرى الكحلاوى أن أول

مسجد شيد بالفسطاط بعد جامع عمرو بن العاص هو المسجد المعروف "بالغفلة" الذى شيد على أنقاض حصن الروم عند باب الريحان. انظر: محمد محمد الكحلاوى: آثار مصر الإسلامية في كتابات المغاربة والأندلسيين، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٩٩٤، ص٧٧

(٣٢) مجهول: قطعة من تاريخ مصر إلى العثمانيين. مخطوط بدار الكتب القومية تاريخ تيمور ٢٦٤١. ميكروفيلم ٢٧٩٦٢، كذلك انظر: مرعى بن يوسف الحنبلى: نزهة الناظرين في تاريخ من ولى مصر من الخلفاء والسلاطين. مخطوط بدار الكتب القومية تاريخ تيمور ٣٠٣ ميكروفيلم ١٣٣٠٣ ص١١٣

(٣٣) عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى: الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز. تحقيق د/ أحمد عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص٢٤٢

(٣٤) محكمة مصر القديمة: س١٠٣، م٥٢٩، ص٢٠٨

(٣٥) دشت ١٤١، ص٤٧٥ لسنة ١٠٣٠هـ

(٣٦) محكمة مصر القديمة: س١٠١، م٧١٠، ص٢٦٨

(٣٧) أيمن فؤاد سيد: مسودة كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار للمقريزى. مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى. لندن ١٩٩٥، هامش ص٤٢٨

(٣٨) هذا الجامع كان في الأصل مدرسة بمصر القديمة أنشأها بدر الدين حسن ابن سويد الذى مات قبل إتمامها، وأوصى بحوالى ٤٠٠٠٠ دينار لإتمام بنائها ولكن ابنه عبد الرحمن أبطل بها الدرس وأقام الخطبة وكان التضارب في العصر المملوكى حول كونها جامعًا أم مدرسة. فمثلاً أبطل القاضى الشافعى ابن حجر العسقلانى الخطبة فيها وقرر الدرس وأزيل المنبر وأبطل الجمعة بها في ١٠ صفر ٨٤٤هـ/١٤٤١م، ولكن بعد ذلك أمر السلطان جقمق بإقامة الخطبة من جديد .... إلخ للمزيد من التفاصيل انظر: د/ محمد حمزة -مقال ضمن كتاب المدارس في مصر الإسلامية: العلاقة

بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط للمدرسة في العصر المملوكي، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٩، ص٢٩٦

(٣٩) محكمة مصر القديمة: س١٠٥، م١٠٠، ص٥٣

(٤٠) محكمة الباب العالي: س٨٧، م١٥٩، ص٣٧

(٤١) محكمة مصر القديمة: س١٠٣، م٥٨٩، ص٢٦٦

(٤٢) نفسـه: م٦٨٩، ص٢٦٦

(٤٣) أثر النبي: أصلها عزبة قديمة من ضواحي مصر القديمة، عرفت باسمها الحالي نسبة إلى مسجد الآثار النبوية الموجودة بهذه القرية، ثم أصبحت بعد عام ١٢٢٨هـ ناحية خاصة بذاتها بعد أن ضمت إليها الأرض الموجودة بهذه القرية. انظر: محمد رمزي: القاموس الجغرافي، جـ٣، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية عام ١٩٦٠، ص٣

(٤٤) محكمة مصر القديمة: س٩١، م٢٠٩، ص٩٣

(٤٥) ابن الوكيل: تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٩٨م، ص١٩٠

(٤٦) محكمة مصر القديمة: س١٠٠، م١٠٥٠، ص٤٠٢ وأيضا نفس المحكمة: س١٠٢، م٦٦٦، ص٢٥٨

(٤٧) محمد مختار: التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالتواريخ القبطية، تحقيق محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسة والنشر [د.ت]، ص٥٦

(٤٨) محكمة مصر القديمة: س١٠٣، م٦٨٩، ص٢٦٦

(٤٩) سعاد ماهر: المرجع السابق، ص٦٨

(٥٠) ربما تعود تسمية هذا الجامع بالمعلقة لمجاورته للكنيسة المعلقة في المنطقة.

(٥١) الباب العالي: س١٦٠، م٦٤، ص١٩

(٥٢) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ط٢، ج٥، القاهرة، ١٩٦١، ص٩٤

(٥٣) الباب العالي: س١٢٩، م٥١٩، ص١٣٤ وأيضا: الباب العالي:

س١٢٧، م١٩٢، ص٤٣

(٥٤) حجة وقف المرحوم الشيخ أبو السعود الجارحي بتاريخ ١٤ رجب ٩٢٤هـ، حجج الأمراء والسلاطين رقم ٢٨٧. دار الوثائق القومية.

(٥٥) محكمة مصر القديمة: س١٠٢، م٩، ص٥

(٥٦) محكمة مصر القديمة: س١٠٠، م٢٧٤، ص١١٩

(٥٧) محكمة مصر القديمة: س٩٨، م٣٨٣، ص١٠٨

(٥٨) المقريزى: المصدر السابق، جـ٢، ص١٤٩

(٥٩) أيمن فؤاد سيد: التطور العمراني للقاهرة، ص٥٦ - وقد أخذت لفظ "قرافة" نسبة إلى خطة بني قرافة، وهي خطة قبيلة المعافر ابن يغفر من اليمن. للمزيد انظر: المقريزى: المصدر السابق، جـ٤، ص٣١٩

(٦٠) المقريزى: المصدر السابق، جـ٤، ص٣٢٠

(61) Gabriel Premond: Vayage De "1643-1645" ch22. P53

(٦٢) محكمة مصر القديمة: س٩٨، م١١٠٧، ص٣١٢

(٦٣) فساقى: جمع فسقية، وهى كلمة عامية لها عدة دلالات، منها أنها مجمع المياه، كما أنها المحل الذى يدفن به الميت، وأحيانًا تطلق على الجزء الغاطس من البيت المملوكى خاصة الطبقة أو ما يلى الدهليز المؤدى للأروقة أو القاعات. انظر: محمد محمد أمين وليلى على إبراهيم: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية (٦٤٨-٩٢٣هـ)، دار النشر بالجامعة الأمريكية. ط١، ١٩٩٠، ص٨٥

(٦٤) محكمة قناطر السباع: س١٣٠، م١١١، ص٥١

(٦٥) محكمة مصر القديمة: س١٠٢، م٢١، ص١١

(٦٦) كامل صالح نخلة: تاريخ البابوات بطاركة الكرسي الإسكندرى. الحلقة الأولى، الطبعة الأولى ١٩٥١، ص١١٠

(٦٧) محكمة مصر القديمة: س١٠١، م٦٢٦، ص٢٣٥

(٦٨) مجهول: قطعة من تاريخ مصر إلى العثمانيين. تاريخ تيمور ٢٦٤١، ميكروفيلم ٢٧٩٦٢، وأيضا: أبو الحمد محمود فرغلي: المرجع السابق، ص٧١

(69) Neitzschitz: Op. Cit. P220

(٧٠) في حين يذكر جومار أن بمصر القديمة نحو ١٢ كنيسة، وربما أنه أحصى الكنائس الصغرى أو المتهدمة. جومار: وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل. ترجمة أيمن فؤاد سيد، مكتبة الخانجى، ١٩٨٨، ص٣٣٢

(٧١) أبو الحمد محمود فرغلى: المرجع السابق، ص٧٣

(72) Neitzschitz. Op. Cit. P229

(٧٣) محكمة مصر القديمة: س١٠٠، م٣٥٣، ص٦٣، أيضا نفس المحكمة: س١٠٣، م٦٨٨، ص٢٦٦

(٧٤) أبو الحمد محمود فرغلى: المرجع السابق، ص٧٣

(٧٥) نفس المرجع: ص٧٦

(76) Neitzschitz. Op. Cit. P229

(٧٧) محكمة مصر القديمة: س١٠٢، م١٥٧٤، ص٦٠٢

(78) Neitzschitz. Op. Cit. P22

(79) M. T. E Thevenot. Op. Cit. P263

(٨٠) أبو الحمد محمود فرغلى: المرجع السابق، ص٧٩

(٨١) نفس المرجع: ص٧٩

(٨٢) محكمة مصر القديمة: س١٠١، م١٨٩، ص٧٠

(٨٣) على مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة، جـ١، ط١، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٤، ص٢٣٣

(٨٤) الباب العالى: س١٣٣، م١٠٦٠، ص٢٥٨

(85) M. T. E. Thevenot. Op. Cit. P263

(٨٦) محكمة مصر القديمة: س١٠٢، م٦، ص٢

(٨٧) محكمة مصر القديمة: س٩٨، م٢٦٨٠، ص٧٠٤

(٨٨) محكمة مصر القديمة: س١٠٣، م٦٨٨، ص٢٦٦

(٨٩) محكمة قناطر السباع: س١٣٠، م١١١، ص٥١

(٩٠) محكمة الباب العالى : س١٢٧ ، م١٤٣٨ ، ص٣٣٧

(٩١) نيللى حنا : بيوت القاهرة " دراسة اجتماعية معمارية " في القرنين ١٧ ، ١٨ ، ترجمة حليم طوسون ، العربى للنشر والتوزيع ، ١٩٩١ ، ص٥٦

(92) Ncitzschitz. Op. Cit. P219

(٩٣) محكمة مصر القديمة : س١٠٤ ، م٢٣١٨ ، ص٦٣٧

(٩٤) نفســـــه : م٧٣ ، ص٤٥

(95) Nelly Hanna: Construction Work in Ottoman Cairo "1517-1798" Le Caire 1984. P13

(٩٥) محكمة مصر القديمة : س١٠٣ ، م٨٢٢ ، ص٣٢٩

(٩٦) على بهجت وألبير جبرييل : المرجع السابق ، ص ص٩٩ ، ١٠٠

(٩٧) محكمة مصر القديمة : س١٠٠ ، م٤٢٠ ، ص٢٠٥

(98) Johann Wild. Op. Cit. Ch30. P167

(٩٩) محكمة مصر القديمة : س١٠٣ ، م١٠١ ، ص٤٢

(١٠٠) أندريه ريمون : المدن العربية الكبرى في العصر العثمانى ، ترجمة لطيف فرج ، دار الفكر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩١ ، ص٢٣٥

(١٠١) محكمة مصر القديمة : س١٠٣ ، م١ ، ص١

(١٠٢) نفســـــه : م٦٢٤ ، ص٢٤٣

(١٠٣) دشت ١٢١ لسنة ١٠١٣هـ ، ص١٢٤

(١٠٤) دشت ١٢٤ لسنة ١٠١٥هـ ، ص٥٥

(١٠٥) محكمة مصر القديمة : س١٠٢ ، م٧٧٠ ، ص٣٠٥ ، وعن الشيخ عبد الرازق والسادات الوفائية راجع فصل التجارة من دراستنا .

(١٠٦) محكمة مصر القديمة : س١٠٠ ، م٦٢٩ ، ص٣٠٣ .

(١٠٧) محكمة مصر القديمة : س١٠١ ، م٢٢٦ ، ص٨٧ ، وكذلك م٢٢٧ ، ص٨٧ أيضاً من نفس السجل .

(١٠٨) أندريه ريمون : المرجع السابق ، ص٢٤٠ .

(١٠٩) محكمة مصر القديمة: س١٠٤، م١٠٥٥، ص٩٦٧

(١١٠) محكمة مصر القديمة: س١٠٢، م١٧٥٣، ص٦٦٧

(١١١) محكمة مصر القديمة: س١٠١، م١٩٨، ص٧٤

(١١٢) محكمة مصر القديمة: س١٠٢، م٥٤٣، ص١٩٨.

(١١٣) أندريه ريمون: فصول في التاريخ الاجتماعي للقاهرة العثمانية، مكتبة مدبولي، ١٩٧٤، ص١١٦

(١١٤) محكمة مصر القديمة: س١٠٢، م٥٥٨، ص٢٠٣، وكذلك دشت ١٧٤، ص٩٣ لسنة ١٠٦٥هـ

(١١٥) الباب العالي: س٤٢، م١٠٤٤، ص١٧٦

(١١٦) للمزيد عن المقاهي انظر: الفصل الرابع.

(١١٧) أيمن فؤاد سيد: مسودة كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار للمقريزي، ص ص٢٤، ٢٥

(١١٨) وقدر ورد على سبيل الإشارة السريعة خط الخطر بفم الخليج، ولكننا لم نسمع عنه سوى مرة واحدة عام ١٠١٨هـ/١٦٠٧م وهذا دليل آخر بفم الخليج على وجود خطط صغيرة داخل الخطط الكبيرة. انظر: محكمة مصر القديمة: س٩٨، م٣٦٧، ص١٠٤

الفصل الثاني
النظـام الإداري

بعد أن دانت مصر للعثمانيين وسيطروا على مقاليد الأمور بها عقب هزيمة المماليك فى الريدانية ١٥١٧م وشنق طومان باى، بدأ العثمانيون يضعون نظامًا ثابتا للحكم والإدارة فى مصر، فاشترك فى حكمها عدة عناصر يأتى على رأسهم الباشا (الوالى) وأحيانًا تسميه المصادر (الوزير) ومعاونوه إضافة إلى هيئة أمراء المماليك من رجال العسكرية، والحامية العثمانية يشتركون فى الحكم والإدارة، وقد شملت الحامية العثمانية فى مصر عناصر مختلفة من العسكر (العثمانيين والمماليك والعرب)، وقد بلغ عدد رجالها عند مغادرة سليم الأول مصر نحو ١٢-١٤ ألفًا، وكانت الحامية مقسمة إلى ستة أوجاقات (فرق)[١] وهم الكوكليان والتفنكجيان والجراكسة، العزبان، الجاويشية، وقد اكتملت الفرق العسكرية

التى تمثل الحامية العثمانية فى مصر بتكوين الفرقة السابعة، وهى فرقة المتفرقة من المماليك التى أضافها السلطان سليمان القانونى، فأصبحت الحامية العثمانية تضم سبعة أوجاقات(٢).

هذا عن الهيكل الإدارى فى مصر العثمانية، فماذا عنه فى مدينة مصر القديمة لاسيما خلال القرن السابع عشر. تؤكد الوثائق أن المدينة بوصفها جزءاً لا يتجزأ من الدولة خلال تلك الحقبة، قد وضح عليها سمات هذا التنظيم الإدارى، وقد خضعت خضوعاً مباشراً للعاصمة بوصفها مقر الحكم ومسقط رأس الباشا، إضافة إلى التبعية الاقتصادية بوصفها هى وبولاق منفذى العاصمة على النيل، وهو ما سنلاحظه فى صفحات تالية.

أولاً: الجهاز الإدارى:

جاء التنظيم الإدارى فى مصر القديمة دقيقاً، ومكملاً لبعضه بحيث إننا لا نستطيع أن نفصل منصباً عن آخر إلا فى أمورٍ محددة تميزه عن غيره، وهذا التلاحم يؤكد حسن سير الإدارة داخلها اللهم إلا فى بعض الفترات التى تحدث فيها فتن أو ثورات من قِبل العسكر والصناجق، الأمر الذى يؤدى إلى حدوث ارتباك فى الجهاز الإدارى والأمنى، وقد جاء الهيكل الإدارى بها على النحو التالى:

أ. أمير اللوا الشريف السلطانى:

ويأتى على رأس الجهاز الإدارى فى المدينة، وقد اصطلحت وثائق المحاكم الشرعية على تسميته باسم " أمير اللوا الشريف السلطانى وصاحب العز المنيف الخاقانى والحافظ هو فى شهر تاريخه بمصر

القديمة " وفى الثغور أخذ ألقابًا أخرى مثل " القبودان " وكانت مسئوليته متضامنة مع الشخصية الرئيسية الأخرى فى المدينة وهو الحاكم الشرعى (القاضى) . فقد كانت الأوامر الإدارية الصادرة من الديوان العالى بالقاهرة أو من إسطنبول توجه إلى الحاكم الشرعى مخاطبًا مع أمير اللوا أو غيرهم من مسئولى الجهاز الإدارى كما سنرى.

وقد تعددت مسئوليات أمير اللوا سواء كانت إدارية أم اقتصادية أم اجتماعية . فالأمير عابدى بيك - صاحب الجامع الكائن بشاطئ نيل مصر القديمة - الذى تولى منصب أمير اللوا بمصر القديمة عام ١٠٥٣هـ ١٦٤٢/م كان أيضًا فى نفس الوقت محافظًا على الشونة بمصر القديمة ينظم شون الغلال بها(٣) . فيبرز دور أمير اللوا فى حالات الغلاء الشديد أو حدوث الطواعين حيث كان عليه وفق ما يصله من بيورلديات وفرمانات أن يجهز الغلال اللازمة من الشونة السلطانية بمصر القديمة وغيرها(٤) . وقد رصد بعض الباحثين فعلاً أن عام ١٠٥٣هـ ١٦٤٢/م ظهر طاعون عصف بالشباب والصبية فى مصر(٥) . وكان الأمير عابدى متحدثًا على أيتام مولانا الشيخ العارف بالله أبو الأكرام شيخ السجادة والكتبة الوفائية منذ عام ١٠٥٤هـ ١٦٤٣/م وهم محمد أبو الفضل، عبد الرازق أبو العطا، وأم التيسير شامة وأم الهدى مؤمنة . وقام برعاية أملاكهم من مراكب نيلية وأراضٍ بجزيرة الذهب وكذلك مقاهٍ حديثة الإنشاء بخط حمام جمدار(٦) . وقد قدر لأيتام الشيخ أبى

الأكرام هذا بعد بلوغهم سن الرجال أن تكون لهم تجارات عريضة داخل محيط المدينة وخارجها.

وبجانب ذلك كان الأمير عابدى يقوم ببعض الجولات الليلية مع الصوباشي بمصر القديمة. فتذكر الوثائق إنه قام بجولة مع الصوباشي فرحات ليلة ١٣ ذى القعدة عام ١٠٥٣هـ١٦٤٢/م بالخلاء والكيمان قرب دير قصر الجمع بظهر حمام جمدار فوجدا جماعة من المسلمين والذميين حاملين السيوف والسكاكين والنبابيت وخلعوا باب الدير المذكور، وكانوا قرابة ٣٠ شخصًا، فلما قبض عليهم اعترفوا بفعل ذلك بحجة وجود وليمة بالدير(٧).

وقد جرى في التزام الأمير عابدى أراضٍ زراعيةٍ فى مناطق متفرقة فى الفيوم (طبهتار - المناشى - دشية) فى القليوبية (منية صُدر- طوخ دلكة - منية الكرام). وامتلك أطيانًا بناحية كفر فرشوت بالمنوفية، ولكن نتيجة أعماله العديدة قام بتأجيرها عام ١٠٥٩هـ١٦٤٨/م للأمير درويش جاويش بديوان مصر المحروسة لمدة سنة كاملة نظير مبلغ ثلاثين ألف نصف فضة(٨).

وقد تزامن مع الأمير عابدى أمراء آخرون منهم الأمير حسن أمير اللوا بمصر القديمة عام ١٠٥٨هـ١٦٤٧/م وبجانب وظيفته بمصر القديمة كان ملتزمًا على عدة نواحٍ فى الفيوم والغربية والبحيرة(٩).

وهناك الأمير أزبك بيك، والأمير محمد بيك الذى سقط جدار ربع الغورى بشاطئ النيل قرب الشونة الشريفة على كتخداه (تابعه) الشيخ محمد بن العاصى شرف الدين البحترى فمات فى

حينه[١٠]. فالكتخذا كان يتحمل الكثير من الأعباء عن كاهل سيده الأمير. فيناب عنه في عدة أمور، فيذكر أن الأمير عبد الله بيك أمير اللوا بمصر القديمة عام ١٠٨٧هـ١٦٧٩/م قد وكّل الأمير مصطفى بن الأمير عمر طايفة مستحفظان في حصص التزام الأمير البيك في عدة نواحٍ بمحافظة الشرقية[١١].

وتذكر سجلات المحاكم الشرعية أن أمير اللوا قد توافر لديه العديد من الأرقاء للعمل بخدمته في الحراسة والبوابة أو الأعمال المنزلية وداخل حقول الأمير. فكان مراد بيك أمير لوا عام ١٠٦٦هـ١٦٥٥/م بالمدينة قد امتلك العديد من الأرقاء البيض والسود سواء روسي أو أفرنجي أو حبشي. ويحسب له أنه قام بعتق العديد منهم ابتغاء وجه الله[١٢].

ب. القاضي ومعاونوه:

توافر للمدينة محكمة خاصة بها تنظر في القضايا والمشكلات التي تعرض أمامها سواء كانت هذه القضايا تدور في فلك المدينة أو ما يتعلق بها أو حتى خارجها. ويذكر عبد الرحيم عبد الرحمن أن هذه المحكمة قد أنشئت في ١٥ رجب سنة ٩٣٤هـ١٥٢٧/م، وانتهى العمل بها في ٢٦ شعبان ١٢٢٦هـ١٨١١/م[١٣].

وقد تعرضت محكمة مصر القديمة خلال القرن السابع عشر للانتقال إلى مناطق متفرقة داخل المدينة. فكانت في بداية القرن داخل الجامع الجديد الناصري الذي شيده من قبل الناصر محمد بن قلاوون بفم الخليج، ثم انتقلت منه إلى الجامع المنصوري وسط مصر

القديمة وذلك فى عام ١٠٦٠هـ١٦٥٠/م وجاء النقل مرة أخرى من الجامع المنصورى هذا إلى مدرسة الخروبية بناء على أمر من قاضى القضاة جاء فيه " أذن سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الإسلام تاج روس الموالى الأعالى الفخام ..... بنقل المحكمة وسجلها من الجامع المنصور إلى مدرسة الخروبية بمصر القديمة ...."(١٤).

وبدأ العمل بها فى ٨ شوال ١٠٨٨هـ١٦٧٧/م. ثم انتقلت بعد ذلك إلى جامع القاضى حسن السويد بحمام جمدار عام ١٠٩٢هـ١٦٨١/م(١٥). وربما يعود هذا الانتقال إلى عمل ترميمات فى هذه الأماكن، خاصة وكما رأينا فى الفصل السابق مدى عملية الترميمات والعمران التى شهدتها المدينة خلال القرن.

وكان القاضى يجلس فى المحكمة لمباشرة مهام وظيفته، وقد خضع هذا القاضى مباشرة لقاضى القضاة بمصر المحروسة، فكان بمثابة نائب عنه داخل المحكمة. وقد أطلقت عليه الوثائق لقب (النائب) و (الحاكم الشرعى). وكان بالمحكمة أربعة نواب للمذاهب الفقهية الأربعة (الحنفى - الحنبلى - الشافعى - المالكى) وإن كان السائد فيهم القاضى الحنفى لأن مصر أصبحت تقر هذا المذهب لها. ونادراً ما يقابلنا داخل بطون السجلات قاضٍ حنبلى أو غيره تنظر أمامه بعض القضايا. وكان من الممكن أن يزاول القاضى مهام وظيفته فى محكمتين فى وقتٍ واحد، ففى عام ١٠٧٨هـ١٦٦٨/م عين القاضى شمس الدين محمد البحيرى قاضياً ملكياً بمحكمة مصر القديمة مع بقائه بمحكمة جامع الصالح قاضياً أيضاً(١٦).

وقد لاحظ الرحالة برمون Premond أن القضاة في مصر العثمانية كانوا يسكنون على حساب الدولة كما كان لديهم في قضاة باريس وكانت هذه المساكن مثل مساكن ضباط الجيش الفرنسي وعساكره ويعود فيقول - إن نفراً من هؤلاء القضاة كانت مساكنهم الخاصة في الشوارع وهذا دليل البساطة(١٧).

وحرص قاضي القضاة على ضرورة تحرى العدل داخل محكمة مصر القديمة وغيرها، فدائماً ما يصدر أوامره التي تحمل هذا المعنى. فهناك رسالة منه عام ١٠٩٢هـ١٦٨٢/م يحث فيها النواب والقضاة والشهود أن يسيروا بالعدل والإنصاف والصدق وترك الشبهات، ولا يتعاطون الكتابات في المواد الخمس المستثنى بها كالكشف والتقرير والحكم على الغايب أو تفرد شاهد ويمين والتواجر الطويلة والفسخ والقسمة والاستبدال. فكل ذلك هم ممنوعون منه إلا بإذن شريف. كما حرم عليهم أيضاً شرب الدخان داخل المحكمة، فمن فعل ذلك عوقب بالطرد(١٨).

والحقيقة أن مراسلات قاضي القضاة للنواب كانت بمثابة دستور ونبراس لهداية هؤلاء القضاة تجنباً للوقوع في الخطأ وحرصاً على تحقيق العدل بين الرعية. فمنها عدم أخذ أى نقود من المفرج عنهم، ولا يسجن أحد على قرشين، وأن يعطى الشخص الذى عليه دين مهلة للسداد وإن عاند في الدفع يحبس بإالتماس خصمه(١٩)، وأن لا يغالي المحضرون في أخذ الدراهم فيذكر أنه في عام ١٠٣٤هـ١٦٢٤/م اتصل لمسامع شيخ الإسلام أى قاضي القضاة أن

المحضرين يفحشون فى أخذ الدراهم بتحريض من (محضرباشى) زيادة عن العادة المتبعة. فألزمهم شيخ الإسلام بعدم الزيادة عن العادة القديمة ومن يخالف ذلك يكون عقابه العزل[٢٠].

وقد حث أيضا على ضرورة الاهتمام بمصالح المرضى والأيتام والضعفاء والمساكين وعدم تعطيل مصالحهم ومواريثهم[٢١].

أما القضايا الخاصة بالقسمة العسكرية والقسمة العربية فقد منعت محكمة مصر القديمة وغيرها من تعاطيها بناء على عدة مراسلات سواء من شيخ الإسلام أو حتى من القسام العسكرى بمصر المحروسة وقد نهج الديوان العالى نفس هذه السياسة بصدور العديد من المراسلات منها عام ١١٠٤هـ بعدم تعاطى كتابة المواد المتعلقة بالديوان العالى ولا بالصفة المتصورة[٢٢].

كل ذلك تأكيد على ضرورة الوصول إلى قضاء عادل وشامل وملم بكافة جوانب المجتمع. لذلك أصبح فى يد الحاكم الشرعى مرجع أساسى يستند إليه كلما تعثرت الأمور أمامه. ويساعده فى مهمته المنوط بها هذه: الشهود أو العدول: فكانوا بمثابة الساعد الأيمن للقاضى، فيكتبون الحجج داخل المحكمة نظير أجر معلوم تقدره الوثائق بنحو ٤ أنصاف فى الحجة الواحدة، وقد حذر شيخ الإسلام من قيام الشهود بكتابة الحجج خارج المحاكم بغير معرفة النواب الحنفية عندما رأى الكثيرين منهم يتعاطون ذلك[٢٣]. ويعين السادة العدول بأمر من قاضى القضاة داخل المحكمة، وقد ورد أمامنا العديد منهم داخل محكمة مصر القديمة والذين يعود أغلبهم

إلى أنساب عريقة مثل السيد أحمد أصالة الوفائى والشيخ عبد الفتاح بن الشيخ مدين السعودى وناصر الدين مصطفى بن الشيخ الإمام أحمد خضر (٢٤).

ومن معاونى القاضى جماعة المحضرين أو الرسل، يرأسهم محضرباشى - كما تقدم - وهم الذين يناط بهم إحضار من تتطلب إجراءات الدعوى حضورهم إلى المحكمة لسماع أقوالهم، وغالبا يتم اختيار هؤلاء من بين الجند المتقاعدين (٢٥). كذلك كان الصوباشى كما سنرى من كبار معاونى القاضى ومنفذا لأوامره بكل دقة وحزم.

وكانت تعرض يوميًا أمام قاضى مصر القديمة العديد من القضايا والمشكلات التى يفصل فيها بمعاونة شهود مجلسه. فعلى طول القرن السابع عشر وقعت العديد من حوادث السرقة والقتل أو السطو سواء بين المسلمين أو النصارى أو بعضهم البعض، حيث كان القاضى الحنفى ينظر فى قضايا الذميين من أهل مصر القديمة التى تعرض أمامه. ففى ليلة ٢٨ ربيع الثانى ١٠١٩هـ/١٦٠٩م وقعت حادثة بحارة قصر الشمع، تعدى فيها اللصوص على أهل الحارة وسرقوها، وقد ادعى جرجس بن عبد السيد النصرانى اليعقوبى - أمام الحاكم الشرعى - على رزيق بن جرجس النصرانى أيضا بأنه فى ذات الليلة قد فتح ثقبًا موصلاً لمنزله، وأحضر جماعة اللصوص وربط لهم حبلاً حتى نزلوا إلى بيته وأخذوا " الدوشت النحاس" وثمنه ١٤٠ نصف فضة، ولما صاح فروا هاربين بما معهم. فأشهد الحاكم الشرعى جمعًا من النصارى اليعاقبة من أهل حارة قصر

الشمع، فشهد كل من عبيد بن داود، حبيشى بن عبد المسيح وصليب بن غبريال وغيرهم بأن رزيق يعاشر اللصوص والمفسدين لذلك أمر الحاكم الشرعى بتعزيره التعزير الشرعى(٢٦).

وقام القاضى الحنفى بتأديب منصور بن سلام النصرانى عندما ثبت عليه شرب الخمر عشيَة ليلة ١٨ رجب ١٠٢٠هـ/١٦١٠م(٢٧). ومن الأحداث الغريبة التى وردت أمام القاضى الحنفى أيضًا من قبل الزينى أوده باشى طايفة عزبان المتولى السبع سقايات أن امرأة تدعى صالحة بنت محمد المعروفة بزوجة إبراهيم الحمار القاطنة داخل حوش درب السيدة زينب أخبرت أن شخصًا يدعى سلامة الحمار أخذها من مكانها دون علم أبويها وزوجها وجيرانها وتوجه بها إلى قصر العينى ووضعها فى خزانة بداخل قاعة مكثت فيها قرابة تسعة أشهر(٢٨). ورغم أن أصل الوثيقة لم يكتمل لكن يبدو لنا من سير الواقعة أنها حادثة خطف ربما للانتقام أو بهدف الاعتداء على هذه المرأة.

وفى ٢٨ محرم عام ١٠٧١هـ/١٦٦١م ادعى المعلم محمد بن نور الدين المعروف بالجماميزى - أمام القاضى الحنفى - على الحاج موسى بن عيسى الفوال بأنه تعدى عليه بخط الحوض الأعوج بفم الخليج بالسباب والشتائم بدون وجه حق، فلما سئل عن ذلك أنكر، فكلف المدعى بإظهار البينة فأحضر الشهود الذين أقاموا الشهادة بأن المدعى عليه قد فعل ذلك، وبناء عليه عذره الحاكم الشرعى(٢٩).

وأحيانًا كانت تأخذ بعض القضايا طريقها إلى الصلح أمام القاضى رغم وقوع الجرم البين. فقد ادعى الذمى عبد السيد بن عبد رب المسيح على زوج ابنته زيتونة وهو الذمى يوسف بن عبد السيد النصرانى - وكان كل منهما يعمل خياطا بخط حمام جمدار - عندما أرسل ابنته القاصر بطعام من اللبن لأختها المذكورة، وجلستا تأكلان، فجاء يوسف المذكور وتعدى على البنت القاصر وضربها بقدميه وطردها فخافت منه وارتعدت حتى بطل نصفها وعجزت عن الوقوف، ورغم ثبوت ذلك عليه إلا أن بعض الناس قد تكلموا فى الصلح ورفع الطلب، وتم ذلك أمام القاضى الحنفى، واشترط على المدعى عليه تطبيب البنت المذكورة إلى حين خلاصها من مرضها(٣٠).

ولم يكتف القاضى بالجلوس داخل المحكمة للتقاضى، بل كان يذهب بنفسه إلى مكان وقوع الحادثة حتى تتبين له الحقائق، وإن تعذر وجوده كان يرسل من طرفه شهود مجلسه وبصحبتهم الصوباشى الذى لعب دورا بارزاً فى تحقيق الأمن والاستقرار داخل المدينة. إذن يتضح لنا من ذلك أن عملية سير القضاء داخل مصر القديمة فترة القرن السابع عشر لم تكن قاصرة على رجال القضاء فحسب، بل ثمة تلاحم بينهم وبين رجال الأمن وسوف يتضح ذلك أكثر وأكثر عند مناقشتنا حول مسئولى أمن المدينة.

ج. الصوباشى وأمناء الأدراك :

هناك شبه إجماع بين الباحثين على أن صفة الوالى أو الصوباشى تطلق على من يسند إليه رئاسة الجهاز الأمنى داخل المدينة وأطلق

عليه أيضًا لقب (زعيم) أى زعيم مصر القديمة أو صوباشى مصر القديمة(٣١). وقد خضعت مصر القديمة وبولاق أمنيًا وإداريًا للقاهرة بوصفهما ضاحيتين من ضواحيها، وخضعتا أيضًا لإشراف رجال من أوجاقات مستحفظان، حيث يختار من رجال هذا الأوجاق وأغواته من يكون مسئولاً عن الإشراف على الأمن ورجاله فى هاتين الضاحيتين(٣٢). ثم بعد ذلك وبالتحديد منذ سنة ١١٤٣هـ/١٧٣٠م ألحقت مصر القديمة وبولاق إداريًا بالقاهرة، وانتقل الإشراف الأمنى فيهما إلى زعيم القاهرة.

وقد رأينا فيما سبق التحديد الجغرافى لمصر القديمة، وكيف تنتهى حدودها، وظهور مناطق سكنية جديدة بعدما دبت عجلة العمران فى جسدها. ولنا أن نذكر الآن أن النطاق الأمنى لمصر القديمة ربما يخرج إلى خارج حدودها الجغرافية هذه، والذى يمكن أن نسميه " النطاق الأمنى " أو " الحدود الإدارية " إذا جاز لنا التعبير، وما دفعنا إلى الانسياق خلف إيجاد هذه المسميات هو خروج مصر القديمة فعلاً خارج حدودها الجغرافية لتشرف أمنيًا على أجزاء من خط قناطر السباع (السيدة زينب)، وهو ما أشرنا إليه فى موضع سابق من قول الوثائق بصريح لفظها " درب السيدة زينب بخط قناطر السباع المعدود من درك مصر القديمة ".

أما صوباشى مصر القديمة فهو رئيس جهاز الأمن بها، وكان دائم الاتصال بالحاكم الشرعى ويحضر العديد من جلساته ويعرض عليه كل صغيرة وكبيرة تحدث داخل المدينة. وعلى طول القرن السابع

عشر وجدنا العديد منهم فى ضوء سجلات المحاكم الشرعية. وكان للصوباشى سجن خاص به بجانب سجن الحاكم الشرعى يودع فيه الخارجين على القانون وإن كان سجن الشرع الشريف (الحاكم الشرعى) هو الأساس المعترف به عند توقيع العقوبات. ومن الأمور التى وقعت قدوم الزينى بيالة صوباشى مصر القديمة عام ١٠٢٣هـ/١٦١٣م للقاضى الحنفى وأخبره بأن أربعة أشخاص مسجونين بسجنه بمصر القديمة قد انتهزوا فرصة طوافه وجماعة الخفر وجماعة البوابة التى بها السجن كانوا معه، وفروا هاربين، ولم يعثر عليهم(٣٣).

وكان الأمير سليمان بن محمد جاويش الذى تولى منصب الصوباشية بمصر القديمة منذ ١٠٥٥هـ/١٦٤٥م حتى عام ١٠٧٤هـ/١٦٦٤م هو أنشط هؤلاء قاطبة إضافة إلى التزامه ببعض المناطق الزراعية فى الأطفيحية(٣٤). وامتلاكه العديد من المراكب النيلية.

وتعتبر الجولات الليلية التى يقوم بها الصوباشى ورجاله من المحافظين فى غاية الأهمية لحفظ الأمن ومنع وقوع العديد من الجرائم وجمع المعلومات حول بعض المخالفين مثلما فعل الأمير محمد عام ١٠٩٠هـ/١٦٨٠م فقد وصل إلى علمه أن رجلاً من الفلاحين الخيالة يدعى إبراهيم الحلوانى من أهل الفساد والخيانة وهو قاطن بخط حمام جمدار داخل حارة ابن مرعى، وكان قبل ذلك مقبوضاً عليه عند صوباشى القاهرة وبعد إطلاق سراحه قدم إلى مصر القديمة ولم

يقض بها إلا مدة يسيرة وضاع لجارٍ له بعض البهائم ليلاً ولم يعلم السارق فهب الصوباشي المذكور على منزل إبراهيم الحلواني الذى أشهر سكينًا بيده في وجه الصوباشي ثم فر هاربًا فتبعه الصوباشي فتسلق في حائط مكان جاره إلى أعلاها وألقى بنفسه والسكّينة مشهورة بيده فنزل عليها وعلى مجاديل من الحجر (٣٥). وتشير هذه الواقعة إلى مدى حرص الصوباشي على حفظ الأمن مهما عرضه ذلك للخطر. بل أبعد من ذلك فقد تعرض من قبل الصوباشي حسن عام ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م للقتل المؤكد في الواقعة التي حدثت في ٢٠ ربيع الأول من نفس السنة، عندما أخبره جماعة من الناس بوجود عدة أنفار يتخفون في زى جماعة الينكجرية المحافظين بمصر القديمة ويدّعون ذلك كذبًا ومعهم البنادق والسيوف ونزلوا بمنطقة الخلاء والكيمان بدرك مصر القديمة وأخذوا يتعرضون للناس ويقطعون عليهم الطريق، فلما أدركهم الصوباشي المذكور وكانت معهم امرأة تستغيث دون جدوى، فهددوا الأمير حسن هذا بقتل هذه المرأة إذا اقترب منهم، بل قام أحدهم بالفعل بإطلاق النيران عليه ولكن لم يصب الأمير، واستطاع أن يقبض عليهم ويطلق سراح المرأة (٣٦).

ولم تقتصر مهام زعيم مصر القديمة على عملية حفظ الأمن فقط بل تعدتها إلى وظائف أخرى كان يكلف بها من قبل الإدارة العثمانية، فقد صدر بيورلدى شريف من والي مصر عبد الرحمن باشا في ٢٩ رجب ١٠٦٢هـ/١٦٥٢م في خصوص الحطب المعين

برسم الفرن والمطبخ بالديوان الشريف، وهو موجه لكل من حسن كتخذا أمين البحرين حالاً والأمير بهرام شربجي والأمير سليمان زعيم مصر القديمة حالاً وغيرهم. وعليهم كفاية المطبخ والفرن المشار إليهما من الحطب على طول الشهر فجاء على الأمير سليمان كفاية ثلاثة أيام في كل شهر [٣٧]. وكان الأمير سليمان أيضًا - الذى ذكرنا إنه أنشط زعماء مصر القديمة - بجانب أعباء الصوباشية وكفاية المطبخ والفرن السلطانى أمينًا على السواقى السلطانية يرعى شئونها المختلفة من ضمان توفير الأعلاف اللازمة لأثوار هذه السواقى وسير عملية الدولبة ودوران السواقى دون عجز أو تقصير [٣٨].

ولكن لا يعنى كل ذلك أن الصوباشى يقوم بعمله على أكمل وجه دون تقصير، فقد ثبت أن بعضهم غير مؤهل لهذا المنصب. فقد حضر مجموعة من أصحاب الحوانيت بدار النحاس إلى القاضى الحنفى وأخبروه أنه فى منتصف ليلة ٢٦ رمضان ١٠٥٨هـ/١٦٤٨م حضر جماعة من اللصوص إلى خط دار النحاس المذكور ومعهم الأسلحة وتعدوا على حوانيتهم وكسروا أبوابها وأخذوا ما فيها من البضائع والودائع والدراهم دون أن يمنعهم أحد لأنه فى هذه الليلة كان الأمير محمود الصوباشى آنذاك غائبًا، وأخبروا إنه " فى غالب الأوقات يترك البلدة المذكورة ويتوجه إلى منزله الكائن بمصر المحروسة وينام ويترك الدرك من غير أحد يحفظه وإنه فى الليلة المذكورة كان غايبًا عن البلدة ولم يكن فيها أحد يحفظ الدرك والرعايا والمسلمين..... "[٣٩].

وكذلك حضر للقاضى الحنفى - الحاج على البديوى القللى بخط فم الخليج[٤٠] وأخبره إنه فى ليلة ١٣ ذى الحجة ١٠٧٣هـ-١٦٦٣/م تعدى اللصوص على فواخيره المعدة لصناعة القلل الكاينة بالكيزانية وكسروا ما بها من القلل المصنوعة وحصل له بذلك غاية الضرر، وأعلن أن سبب ذلك هو الأمير أحمد صوباشى مصر القديمة الآن يأخذ من أصحاب الفواخير الخفراء ولم يتقيد بحفظ دركه ولا يدفع الضرر عن الرعايا والمسلمين، ولم يخفر عليهم ليلاً أو نهاراً[٤١].

على أية حال كان لزعيم مصر القديمة مساعدون له يعاونونه فى القيام بعملية حفظ الأمن وإدارتها داخل المدينة. فكان هناك الخفراء والحرس والبوابين على الحارات، إضافة إلى طائفة الينكجرية المحافظين الذين يصحبون الصوباشى فى جولاته الليلية. أما أمناء الأدراك فهم الساعد الأيمن للصوباشى ورجاله الذين يعتمد عليهم فى سير حركة الأمن وضمان استقرار الأمور. وقد قسمت مصر القديمة إلى عدة أدراك مثل (درك حمام جمدار - درك دار النحاس - درك السبع سقايات - درك الشونة الشريفة - درك فم الخليج - درك درب السيدة زينب) ولا يعنى أن عدم ذكر مناطق معينة بمصر القديمة ضمن نطاق الدرك أنها بعيدة عن يد الصوباشى واهتمامه، فمثلاً منطقة الروضة كانت محط اهتمام وجولات لرجال الأمن، وكذلك منطقة كوم الجارح والقصر العينى وغيرها من مناطق المدينة. وكان الحاكم الشرعى هو الذى يقوم بتعيين مقدمى الأدراك

وعزلهم إذا رأى فيهم تقصيرا ويشترط فيهم تدينهم واستقامتهم ورضا الناس عنهم(٤٢).

وكان الأفراد يأتون إلى القاضى ليعلنوا رغبتهم فى أن يكونوا مقدمى درك معين. فإذا رأى فيهم القاضى أهلية ذلك يتم اختيارهم مع تحديد حدود دركهم، ففى ٨ شوال عام ١٠١٨هـ١٦٠٨/م سأل كل من نور الدين بن حسين وعامر بن أحمد بن عبد الله المحلاوى الحاكم الحنفى أن يكونا أصحاب درك الشون الشريفة وحمام جمدار على حكم الحدود المعينين بها، واشترط عليهم القاضى تكفية الدرك من حيث حفظ الأمن وإغاثة الملهوف وإطفاء الحريق .... إلخ(٤٣). وتذكر الوثائق وجود مقدمى أدراك بالمدينة وهم فى الأصل ليسوا من أهلها، فقد تولى خضر بن حامد بن سلامة من كوم البدارى بأبى تيج أمانة درك دار النحاس عام ١٠١٨هـ(٤٤). وكذلك جعفر بن أبى الخير وعبد الرحمن بن نصار من أهالى ناحية دير الطين والمحترم نصار بن محمد الفيومى، رغب كل منهم أن يكون مقدما بدرك حمام جمدار من ابتداء حدوده إلى نهايتها أى من القبو المعروف بالمرحوم القاضى جابر قديمًا إلى الطريق الفاصل بين الجنينة المعروفة بجنينة ياسين وبين الجميزة المحروقة التى هناك والتزم كل منهم بتكفية الدرك برجال يحفظونه بأسلحتهم، وسهما ضاع من دركهم فى زمن ولاياتهم كان عليهم القيام بنظيره من مالهم(٤٥). وتذكر نفس الوثيقة أن هؤلاء الأمناء قد تولوا هذا الدرك لمدة سنة كاملة تبدأ من شهر شوال ١٠٧٠هـ١٦٦٠/م حتى شهر ربيع الأول سنة

١٠٧١هـ١٦٦١/م واشترط عليهم دفع مبلغ من المال نظير تعاطيهم أمانة الدرك المذكور فى السنة المذكورة، وقد اختلفت قيمة المبلغ المدفوع فى نصف السنة الأول عن الثانى، فقد دفعوا فى النصف الأول (من ابتداء شهر شوال حتى شهر ربيع الأول) ٨١ قرشًا فى الشهر أى٨١ نصف فضة فى اليوم، أما فى النصف الثانى (من ابتداء ربيع الآخر حتى نهاية شهر رمضان) ٦١ قرشًا فى الشهر أى ٦١ نصف فضة فى اليوم. ربما يعود الانخفاض فى الأسعار إلى الأزمات المالية التى حدثت فى هذه السنة. وعمومًا قام هؤلاء بدفع هذا المبلغ للأمير مصطفى زعيم مصر القديمة آنذاك على حكم العوايد الجارية(٤٦). وأحيانًا يقوم مقدم الدرك بدفع مبلغ كنوع من الغرامة إذا تغيب عن دركه أو تركه قبل المدة المحددة. ففى وثيقة مؤرخة فى ٢٣ جمادى الأول ١٠٢٠هـ١٦١٠/م أشهد على نفسه أحمد بن صالح بن أحمد مقدم درك شونة الغلال بمصر القديمة إنه متى تغيب عن الدرك المذكور وتركه كان عليه القيام بدفع ٥٠ دينارًا من ماله للزينى محرم صوباشى مصر القديمة وقتئذ(٤٧).

وسجلات المحاكم الشرعية تؤكد الدور الفعال الذى قام به أمناء الإدراك فى مصر القديمة خلال القرن، فكانوا خير معين للصوباشى ولدينا العديد من الأمثلة التى تبرهن على ذلك، فعندما ادعت السيدة خطيطة بنت على بأن باب منزلها قد خلع فى نهار ٢٥ ربيع الأول ١٠٢١هـ١٦١١/م وضاع لها كساة صوف ثمنها خمسة دنانير، أخبر جار لها يدعى عبد الحق بن غراب وجد عبدًا أسودً لا

يعرفه يحمل المكساة الصوف بالسبع سقايات . فلما أراد أن يقبض عليه فر هاربا ، فرجع و أخبر مقدم درك السبع سقايات ويدعى "المقدم قباله " الذى استطاع أن يقبض عليه ويحضره إلى الأمير حسن صوباشى مصر القديمة(٤٨) . وفى منطقة فم الخليج مستودع صناعة القلل(٤٩) حيث مسقط رأس الحاج على البديوى ومحمد النقيطى من كبار طائفة القللية فى المنطقة ، رفع هؤلاء شكواهم إلى الحنفى ورجاله بالسرقات التى تحدث فى فواخيرهم الكائنة بالكيزانية فتارة يجدون تنوراً قد سرق وتارة يجدون آخر قد تحطم ولا يعرفون الفاعل ، وفى ليلة ١٣ صفر ١٠٦٩هـ/١٦٥٩م لم يشعروا إلا ومقدم درك فم الخليج حضر إليهم ومعه رجل مقبوض عليه ويدعى رمضان بن رمضان من القاطنين بكوم الجراح ومعه بعض القلل ، فلما استفسر منه القاضى الحنفى أخبره إنه "حضر ليلة تاريخه إلى الكيزانية وفتح فاخور الحاج على البديوى المرقوم وأخذ منها بعض من القلل وأراد التوجه فلم يشعر إلا ومقدم الدرك أوقع القبض عليه وإنه من الآن رجع عما كان فيه ولم يعد يفعل شيئا من ذلك . . . . "(٥٠) .

وإيمانا بأن لكل مهنة ضريبتها ، تؤكد لنا بعض الوثائق هذا المثل الدارج ، فقد دفع أحد مقدمى الدرك حياته ثمنا لتأدية الواجب المنوط به . فقد أخبر الأمير مصطفى زعيم مصر القديمة القاضى الحنفى بأن اللصوص فى خط فم الخليج قد قتلوا مقدم الدرك به ويدعى ناصر ، وإنه عندما كشف عليه وبصحبته دواداره(**) الزينى دلاور تبين

وجود ضربات سكين فى ضلوعه كانت سببا فى حدوث الوفاة[٥١].

د. المحتسب:

الحسبة من المناصب الدينية التى نشأت فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب وظلت قائمة تتناقلها الأجيال إيمانًا بمدى الدور المهم الذى يلعبه المحتسب من رعاية الأسواق ومراقبة الموازين والمكاييل لمنع التزوير. وفى العصر العثمانى كان للحسبة ديوان خاص بها، وكان المحتسب بمصر القديمة يلتزم بدفع مبلغ شهرى لهذا الديوان وصل فى بعض الأوقات إلى نحو ٢٠٠ عثمانى فى الربع الأول من القرن السادس عشر قد التزم بدفعهم الحاج أبو الفتح بن كمال الدين المعروف بالحارثى المحتسب بمصر القديمة عام ٩٣١هـ/١٥٢٤م[٥٢]. ولكن تؤكد الوثائق تضاعف هذا المبلغ بعد ذلك. ويعمل تحت يد المحتسب العديد من المباشرين والكتبة والنقباء، فقد تولى محمد بن المرحوم سليمان نقابة الحسبة بمصر القديمة منذ عام ١٠٥٤هـ/١٦٤٤م[٥٣].

وكان ديوان الحسبة الشريفة يصدر تسعيرة يحدد فيها أسعار البضائع والسلع المختلفة التى ترد فى الأسواق. وأحيانًا كان المحتسب هو الذى يقوم بتسعير السلع والبضائع، ومن يخالف ما سعره يقع عليه التعزيز الواجب ويتم إشهار المناداة عليه[٥٤] على حد تعبير الوثائق.

وقد تمثلت موارد المحتسب فى الفرق بين ما يحصلونه من جهات مقاطعة الاحتساب، وكذلك من تركات الموتى (المواريث الحشرية)

الذين لا وارث لهم، وكذلك يتقاضى رسوم لقاء تصحيح الموازين والمكاييل والمقاييس المتداولة فى الأسواق(٥٥).

وفي حقيقة الأمر أن ذكر أمين الحسبة بمصر القديمة خلال القرن السابع عشر كان قليلا والمادة التى بين أيدينا فقيرة للغاية. ولكن هل هذه الأمور مدعاة لكى نهمل هذا الجانب المهم ؟ وهل عدم ظهوره بكثرة على مسرح أحداث المدينة يعنى إنه كان مقصراً فى أداء وظيفته ؟ أم أن وظيفة الاحتساب فى حد ذاتها كانت مهملة ؟

من خلال دراسة الوثائق الخاصة بالمدينة تبين لنا أن أسواق مصر القديمة لاسيما أسواق حمام جمدار ودار النحاس وفم الخليج قد خضعت لإشراف أمناء الأدراك. صحيح إنه إشراف أمنى ولكنه أحيانًا يتعدى هذه الصفة بتدخل كل من الحاكم الشرعى وكذلك الصوباشى والسادة المحافظين بمصر القديمة. حيث كان الصوباشى ينظم تجارة البطيخ والدار الخاصة بها قرب الآبار الشريفة لقاء تحصيل العوايد(٥٦). وكان الحاكم الشرعى يمنع الغش والاحتكار بين التجار، وكانت هذه أهم وظائف المحتسب، فقال الشيرزى وإذا رأى – يقصد المحتسب – أحداً احتكر الطعام من سائر الأقوات ألزمه بيعه إجبارًا لأن الاحتكار حرام(٥٧). لذلك قام الحاكم الشرعى بمصر القديمة فى ضوء غياب دور المحتسب بمعاقبة تاجر بن حسن "المتسبب فى بيع العنب بمصر القديمة فى بداية القرن السابع عشر" عندما منعه من المشترين وراح يمنع الفقراء من تواصل الشراء، فضربه الحاكم على رجليه(٥٨). فالقاضى هنا ومعاونوه من رجال

الأمن أمثال المحافظين وزعيم مصر القديمة كل هؤلاء قاموا بوظيفة المحتسب دون أن يلقبوا بها.

إذن أعمال الحسبة داخل مصر القديمة كانت تتم على قدمٍ وساق من خلال توافر هذه الكوادر التى عملت على تنظيمها بجانب نقيب حسبة المدينة الذى خضع خضوعًا مباشراً لديوان الحسبة الشريفة بمصر.

ثانيًا : الإدارة المالية :

عندما فتح سليم الأول مصر رتب لها إيرادات وعوائد معلومة بحيث أصبح لمصر إدارة مالية دقيقة اشترك فى إدارتها الديوان الدفترى وديوان الروزنامة وفريق من رجال الحامية العثمانية وجاءت هذه الإيرادات من الأراضى الزراعية والجمارك بطريق الالتزام خاصة ديوان جمرك (الإسكندرية - رشيد - دمياط - بولاق - مصر القديمة) وعوائد على أمين البحرين وأمين الخردة(٥٩) وأرباب المناصب وغيرها. كل هذه الضرائب تجمع ثم تصرف فى الوجوه المخصصة لها، وما يتبقى يرسل لخزينة السلطان.

إذن يعتبر الديوان الدفترى وديوان الروزنامة هما أساس الإدارة المالية لمصر فى العصر العثمانى، فكان الديوان الدفترى بمثابة ديوان المالية يرأسه الدفتردار أى صاحب الشئون المالية وهو فى العادة من السناجق المصريين، ومهمته الإشراف المالى على شئون الولاية وتحصيل أموالها. أما ديوان الروزنامة كان تابعًا للديوان الدفترى

ومهمته جمع الأموال الأميرية وصرفها في مصاريفها المختلفة، ويعمل فيه مجموعة من الأفندية أي الكُتاب[٦٠].

أما في مصر القديمة فقد كان بها - كما ذكرنا - ديوان جمرك (ديوان الموجبات) إضافة إلى ميرى الشونة الشريفة يمثلان - مع أوجه المصروفات المختلفة - حجر الزاوية في مالية مصر القديمة فترة القرن السابع عشر.

٥- جمرك مصر القديمة:

يعود إنشاء هذا الجمرك إلى زمن السلطان سليمان القانوني، الذى قام بإنشاء أربعة جمارك رئيسية في مصر كما ذكرناهم في بداية الإدارة المالية، وقد ارتبط جمرك بولاق ومصر القديمة معًا[٦١]. ومنذ ذلك الوقت وأصبحت العوايد أو الموجبات المفروضة على جمرك مصر القديمة لصالح خزينة مصر مرتبطة مع جمرك بولاق وقد أسمتها سجلات الروزنامة باسم (أسكلة بولاق ومصر قديمة وتوابعها).

وكان يدير هذا الجمرك أحيانًا ملتزم يهودى مهمته تحصيل الرسوم على البضائع الواردة من نواحي الوجه القبلي أو البحرى أو حتى البضائع القادمة من الجزيرة العربية والهند وغيرها[٦٢] يعاونه في ذلك عدد من المباشرين والكتبة والعدادين والكشاف، فمثلاً قام المعلم موسى اليهودى - الملتزم بديوان مصر القديمة عام ١٠٥٦هـ/١٦٤٦م - بتحصيل نحو ستة آلاف نصف فضة متأخرة على المركب القياسة البنوانى التى بسنة وهى ضمن أملاك الأمير سليمان صوباشى مصر القديمة آنذاك[٦٣].

وغير خافٍ أن أمير البحرين (بحر بولاق - بحر مصر القديمة) وجماعته من معرفين الميناء كان لهم الدور البارز في تسهيل مهمة الملتزم على الجمرك وكذلك نظيره على شونة الغلال. وتذكر سجلات المحاكم الشرعية أسماء بعض العدادين والكشافة بهذا الجمرك، مثل الحاج جاد الله بن منصور الشهير بظلام ويرجح أنه تولى هذه الوظيفة من عام ١٠٨٩هـ١٦٧٨/م حتى عام ١٠٩٤هـ١٦٨٢/م(١). وكان المحترم إبراهيم بن سلطان الزيات بحمام جمدار من أشهر كشافي هذا الجمرك عام ١٠٨٧هـ١٦٧٦/م (٦٤).

وكان على ملتزم الجمرك أداء ما هو مفروض من ضرائب على ديوان جمرك مصر القديمة وعلى الوارد من بضائع وحبوب قادمة من الوجه القبلي أو غيره، وإذا ثبت وقوع أى تعسف أو جور تجاه بعض التجار اتخذ الصوباشي والمحافظ وكذلك الحاكم الشرعي ما يجب عمله في مثل هذه الحالات(٦٥). وفي ذي القعدة ١٠٩٩هـ١٦٨٧/م ورد بيورلدى شريف في خصوص " جميع ما ورد من الوجه القبلي من الصوف لجمرك ديوان مصر القديمة يسددوا ما على ذلك حكم القوانين السالفة في ذلك من غير معارضة في ذلك .... "(٦٦).

ولطائفة العسكرية بمصر المحمية مميزات عديدة لدى الجمارك حيث لا تفرض رسوم على بضائعهم عند مرورها بالجمرك في مصر القديمة وغيره بناء على البيورلدى الصادر عام ١٠٩٢هـ١٦٨١/م

من قبل الباشا جاء فيه " لنايب بولاق ومصر القديمة وجامع الحاكم بمصر المحروسة فى خصوص المنع لم تتعرض لطايفة العسكرية بمصر المحمية وعوائد الجمرك السلطانى بالمحلات المذكورة أن لا أحد يتعرض لمن يحضر شيئًا من الذخيرة لمنزله من الوجه القبلى أو الوجه البحرى من السمن والعسل والفراخ والغنم وغير ذلك مما يتعلق بذخيرة البيت ....."(٦٧).

وكان جمرك البهار الواقع على الطريق الصحراوى بين القاهرة والسويس من أعظم الجمارك التى تستقبل بضائع الجزيرة العربية لنقلها الى جمارك مصر المختلفة فى الموانى النيلية وغيرها، هذه الموانى التى تقوم بدورها بنقل هذه البضائع الى جهات مصر سواء الوجه القبلى أو البحرى بناء على الأوامر الشريفة، فمن هذه بيورلدى شريف صادر فى ٩ صفر ١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م من الباشا على يد تابعه فخر الأغوات درش أغا جاء فيه " خطابًا لنايب مصر القديمة وسردار والسفجية وأمين الجمرك أن فى هذه السنة لها ورد من الحاج الشريف من أحمال متعلقة بجمرك البهار من قماش وبن وبهار وغير ذلك إذ لا أحد يختلف من التوجه بذلك إلى جهة الوجه القبلى أو غيره مما لم يكن بيده إذن وكل من عاند أو خالف فى ذلك فلا يلومون إلا أنفسهم..... (٦٨).

وقد فرضت الرسوم والضرائب على واردات البن لحساب الباشا، وقد أشرف عليها ديوان البهار المذكور(٦٩).

و. الإيرادات والمصروفات

أ. الإيـرادات :

تمثلت إيرادات مصر القديمة فى واجب الغلال المفروض على بعض المناطق فى الوجهين القبلي والبحرى لصالح شونة الغلال بمصر القديمة، وقد رأينا العديد من المراكب سواء أكانت مراكب سلطانية أو مراكب تجار قد كتبت عليها " رسالة " بضرورة إحضار الغلال لجهة الشونة نظير عوايد محددة. لذلك كانت إيرادات شونة الغلال بالطبع إيرادات عينية.

أما عن أهم إيرادات مصر القديمة فقد تمثلت فى الموجب المتحصل من الجمارك ونشير لها بـ" قلم شهر ". فقد كان لأسكلة مصر القديمة إيرادات ضخمة قد تم تسجيلها فى دفاتر الروزنامة، التى يرى بعض المؤرخين أن أولى السنوات التى سجلت إيرادات هذه الجمارك هى سنة ١٠٨٨هـ١٦٧٧/م، ولكن بعد مجهود مضنٍ وسط سجلات الروزنامة هذه التى تفتقد إلى الفهرسة الجيدة عثرنا على سجلات ودفاتر أسكلة يعود تاريخها إلى عام ١٠٣٣هـ١٦٢٢/م وليس بعد ذلك(٧٠).

فتوضح لنا هذه الدفاتر المال المتحصل لدى جمرك مصر القديمة مع جمرك بولاق وتوابعهما نظراً لخضوع هذين الجمركين لملتزمٍ واحد تبعاً للتنظيم الإدارى والمالى المعمول به آنذاك، وأغلب ملتزمى هذا الجمرك من اليهود وشاركهم فى بعض السنوات عناصر أخرى من الأوجاقات العثمانية. وقد اخترنا نماذج لبعض السنوات التى

سجلت فيها متحصلات الجمرك ، فمنها :

السنة	المال المفروض فيها
١٠٢٣ هـ	٢٢٥٠٠٠٠ بارة
١٠٢٤	٢١٢٠٠٠٠ بارة = وردت في عدة أقساط
١٠٢٤	١٧٢٧٠٠٠ - وردت في عدة أقساط منها عوايد جمرك سكر
١٠٢٥ - ١٠٢٦	٨٢١٢٣٠ بارة
١٠٢٧	٢٠٠٠٠٠٠ بارة
١٠٢٨	٢٠٠٠٠٠٠
١٠٣٩	٤٨٤٤٠٧ بارة
١٠٤٠	٢٠٠٠٠٠٠ بارة
١٠٤١	١١٠٠٠٠٠ بارة
١٠٤٢	٢٦٧٥٧٩٦ بارة
١٠٤٣ - ١٠٤٤	٨٢٢٤٠٢ بارة (٧١)

ونلاحظ على الجدول السابق الذى يعتبر نموذجًا أنه فى بداية السنوات كان التزم الجمرك موكلاً لشخص يهودى ثم بعد ذلك تولى شخص آخر منذ عام ١٠٣٩ هـ وهو قاسم أغا . وأيضًا وجدنا بعض السنوات قد ارتفع الموجب بها وجاء ذلك مرهونا بحركة التجارة وكميات الوارد إليها ، وسنوات أخرى ظهرت ضعيفة بالمقارنة بغيرها . ولم يستطع الجمرك تسديد ما هو مقرر عليه فى السنة مرة واحدة لجهة الخزينة المصرية ؛ حيث كان يسدد على عدة أقساط فى فترات متساوية متفق عليها بين ملتزم الجمرك بمصر القديمة وأمين الخزينة المصرية . بل إن بعض السنوات لم يرسل فيها جمرك مصر القديمة أموالاً للخزينة مثل أعوام " ١٠٤٥ / ١٠٤٦ /

١٠٨٤ هـ" رغم أن هذه السنوات قد استبعدت من وقوع أى أزمات أو طواعين بها(٧٢).

وإذا أخذنا عدة سنوات على سبيل المثال فى النصف الثانى من القرن ١٧ لنوضح منحنى قيمة إيرادات جمرك مصر القديمة.

السنة بالهجرى	السنة بالميلادى	الإيرادات
١٠٨٨	١٦٧٧	٣٦٦٧ بارة(٧٢)
١٠٨٩	١٦٧٨	٣٦٦٧ بارة(٧٣)
١٠٩٤	١٦٨٣	٥٦٧٣٦٠ بارة
١١٠٣	١٦٩١	٥٦٧٢٦٠ بارة
١١٠٥	١٦٩٣	٥٦٧٢٦٠ بارة(٧٤)
١١٠٩	١٦٩٧	٤٣٦٦٧ بارة(٧٥)

نلاحظ هنا تفاوتًا بين بعض السنوات كما فى عام ١٠٨٨هـ وعام ١٠٨٩هـ الذى سجل كل عام فيهما ٣٦٦٧ بارة، في حين سجل عام ١١٠٥هـ نحو ٥٦٧٢٦٠ بارة وهو رقم مرتفع بالمقارنة بسابقيه. وفى نفس الوقت تساوى هذا العام فى إيراداته مع عام ١١٠٣هـ الذى سجل هو الآخر نحو ٥٦٧٢٦٠ بارة.

أما إذا حاولنا أن نعقد مقارنة بين إيرادات الجمرك فى النصف الأول من القرن مع النصف الثانى من خلال كلا الجدولين السابقين نلاحظ أنه لم تكن هناك قاعدة ثابتة، فهناك سنوات فى النصف الأول مثلاً (عام ١٠٣٣هـ) قد سجلت نحو ٢٢٥٠٠٠ بارة وهى نسبة مرتفعة عجزت بعض سنوات النصف الثانى أن تسجلها والعكس صحيح تماماً والأمثلة على ذلك كثيرة.

ب. المصروفات:

تعددت أوجه المصروفات التى نشير لها بـ " قلم المحاسبة " . وهى المرتبات (الساليينات) التى تخرج لموظفى المدينة داخل الجمرك ذاته أو موظفى الشونة الشريفة والسواقى السلطانية والعلماء والمشايخ .... إلخ، وأيضاً هناك عادات مثل طبخ اللحم الضانى والمطبخ العامر ولدينا الأمثلة العديدة على ذلك:

* تنظيف المقياس الشريف بمصر القديمة ١٠٠٠ بارة.
* عادات مرتب زاوية الشيخ شهاب الدين المجذوب ١٠٠ بارة.
* براى علف أثوار سواقى ١٠٠٠٠ بارة.
* مرتب مقرئين بالمقياس الشريف ليلة وفاء النيل ٣٥٠ بارة.
* مرتب تصوف براى علما عظام ومشايخ كرام ١٣٥٦٠٠ بارة.
* مرتب كسوة أيتام ٢٥٠ بارة[٧٧]

وكذلك لدينا العديد من الأمثلة التى تحدد الإيرادات والمصروفات بالجمرك ثم بعد ذلك جمعها فى السنة المالية كما يحددها ملتزم الجمرك بدفاتر يده.

فقد أورد محمد جوربجى ملتزم أسكلة بولاق ومصر القديمة وخضرا وتوابعهم عام ١٠٩٤هـ/١٦٨٣م مال المقاطعة من إيرادات ومصروفات لهذه السنة، مع إسقاط مرتبات علماء عظام ومشايخ كرام، ولحم ضانى ومطبخ عامرة، وكذلك جلود خام وكاد سالم، مع ميرى وإنفاق جمرك سكر ميرى صالح. فجاءت القائمة كالآتى:

٥٦٧٣٦٠ قلم شهر

١٣٨٥٤٩

٦٩٥٨٠٩ بارة[٧٨]

وفى نفس السنة أيضًا وردت محاسبة (مصروفات) تم إسقاط مرتبات العلماء والمشايخ من القائمة التى احتوتها، فجاءت بالشكل التالى:

٣٥٠٣٨٠

٠٠٦١٠٦

٢٤٤٢٧٤ نقدية

كيس	كسور[٧٩]
٩	١٩٢٧٤

واخترنا نموذجًا آخر وهو عام ١١٠٥هـ/١٦٩٣م، وهو المحاسبة التى وردت بدفتر أحمد كتخذا ملتزم أسكلة بولاق ومصر القديمة وخضرا ودباغ خانة وتوابعها، وأورد فيها إسقاط ومرتبات العلماء واللحوم كالعادة، وبدأت هذه المحاسبة فى ٤ محرم ١١٠٥هـ وجاءت كالآتى:

٥٨١٤٤٠

١٤١٨٠

٥٦٧٢٦٠ نقدية

كيس	كسور
٢٢	١٧٢٦٠

وفى نفس السنة جاءت محاسبة خاصة باللحم الضانى بهدف إجراء عملية الطهى، فكانت :

١٣٠٠٠٠

٠٠٣١٧٠

١٢٦٨٣٠ نقدية

كيس	كسور[٨٠]
٥	١٨٣٠

على أية حال تعتبر هذه النماذج التى اعتمدنا عليها لتوضيح مالية المدينة (الإيرادات - المصروفات) مع الفائض منها والذى يذهب إلى خزينة الدولة، هى فى حقيقتها أرقام توضح واقع أحوال المدينة المالية خلال القرن السابع عشر، ليس هذا فحسب بل أيضًا مالية مصر بأسرها، والتى أظهرت لنا فى بعض المواضع وجود عدة سنوات قد حدث بها خلل أصاب المالية بأزمات أعجزتها عن الوفاء بإلتزاماتها. الأمر الذى يحتاج إلى إصلاح مالى جذرى لا يتأتى إلا من خلال شعور الباشا بذلك وعليه إحداث إصلاح فورى حتى تتجنب مصر حدوث أزمة اقتصادية، وعلى سبيل المثال ما قام به إسماعيل باشا عندما رأى عجز المالية المصرية وحدوث أزمة اقتصادية طاحنة بها، فقام بإحداث إصلاح مالى عام ١١٠٧هـ/١٦٩٤م[٨١].

الهوامش

(١) السيد رجب حراز: المدخل إلى تاريخ مصر الحديث (١٥١٧-١٨٨٢م)، دار النهضة. ١٩٧٠، ص١٠

(٢) للمزيد انظر: قانون نامة مصر: أصدره السلطان سليمان القانوني، ترجمة أحمد فؤاد متولي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٦ -ومن الدراسات الرائدة في هذا المجال. د/ عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون (١٥١٦-١٧٩٨م). دمشق، ١٩٦٨م - كذلك د/ عفاف مسعد السيد: دور الحامية العثمانية في تاريخ مصر (١٥٦٤-١٦٠٩م) سلسلة تاريخ المصريين رقم ١٧٩ - الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩، ص١٠٣

(٣) محكمة مصر القديمة: س١٠٠، م٥٢٠، ص٢٦١ لسنة ١٠٥٣هـ

(٤) عبد الحميد حامد سليمان: الموانى في العصر العثماني، الهيئة العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين رقم ٨٩ لسنة ١٩٩٥، ص٦٩

(٥) ناصر أحمد إبراهيم: الأزمات الاجتماعية في مصر في ق١٧، دار الآفاق العربية، ط١، ١٩٩٨، ص٢٥

(٦) محكمة مصر القديمة: س١٠٠، م٥٢٠، ص٢٦١ ولنفس السجل م٥٢٣، م٥٢٤، ص٢٦٣. للمزيد من التفاصيل عن أبناء أبي الأكرام. انظر الفصل الخاص بالتجارة من دراستنا هذه.

(٧) محكمة مصر القديمة: س١٠٠، م١٤٩، ص٦٠

(٨) محكمة مصر القديمة: س١٠١. م٥٧٧. ص٢١٦

(٩) نفســه: م٣٧٠، ص١٣٥

(١٠) نفســه: م١٤٨٩، ص٥٥٦

(١١) محكمة مصر القديمة : س١٠٤ ، م١٥٨٣ ، ص١٣٧٨

(١٢) محكمة مصر القديمة : س١٠٢ ، م٦٧ ، ص٢٦ . وكذلك م٦٨ . ص٧

(١٣) عبد الرحيم عبد الرحمن : الريف المصرى في ق١٨ . مكتبة مدبولى ، ط١ ، ١٩٨٦ ، ص٥٧

(١٤) محكمة مصر القديمة : س١٠٤ ؛ م١٩١٢ ، ص١٥٠٢

(١٥) محكمة مصر القديمة : س١٠٥ ، م٩٨ ، ص٥٣

(١٦) محكمة مصر القديمة : س١٠٣ ، ص٢٣٢ . وعن القضاء في العصر العثماني عموما انظر : عبد الرازق عبد الرازق عيسى : القضاء في مصر في العضر العثمانى ، سلسلة تاريخ المصريين رقم ٢٢

(17) Gabriel Premond. Op. Cit. p70

(١٨) محكمة مصر القديمة : س١٠٥ ، م١٤٠ ، ص٥١ - انظر : ملحق رقم (٣) الخاص بمراسلة شيخ الإسلام إلى النواب والقضاة .

(١٩) محكمة مصر القديمة : س١٠٤ . م٨٩٨ ؛ ص٣١١

(٢٠) محكمة البرمشية : س٧١١ ، م١ ، ص١

(٢١) محكمة البرمشية : س٧١٠ ، م٨٨٩ ، ص٦٥٣ لسنة ١٠٣٤هـ

(٢٢) محكمة الزاهد : س٦٨٢ ، م٢٦٨ ، ص١٣٣

(٢٣) محكمة البرمشية : س٧١١ ، ص١ لسنة ١٠٥٤هـ

(٢٤) محكمة البرمشية : س٧١٤ ، م٦٠١ ، ص٢٤٦ لسنة ١٠٩٠هـ

(٢٥) محمد نور فرحات : القضاء الشرعي في مصر في العصر العثمانى ، الهيئة المصرية العامة للكتابة ، ١٩٨٨ ، ص٨١

(٢٦) محكمة مصر القديمة : س٩٨ ، م٧٠١ - ٧٠٢ ، ص٢٠٦

(٢٧) نفسه : م١٥٠١ ، ص ٤٠٦

(٢٨) محكمة قناطر السباع : س١٣٦ ، م١٩١ ، ص٥٠ لسنة ١٠٨٩هـ

(٢٩) محكمة مصر القديمة : س١٠٢ ، م٧٨٦ ، ص٣١٢

(٣٠) نفسه : م٩٢٣ ، ص٣٦٤

(٣١) صوباشي : لقب حربى قديم كان يستعمل في البلاد المتحضرة بالحضارة

التركية وأصبح من أشهر الألقاب الحربية والشرطية في الدولة العثمانية، على إنه إستعمل في آسيا الصغرى في عهد متقدم يرجع إلى أيام السلاجقة، وكان لهؤلاء الصوباشية إمتيازات تختلف بإختلاف الولايات وكان لهم إقطاعاتهم (تيمار) وللصوباشي نصيب من الضرائب والغرامات التي تفرض على الأهالي. انظر: عبد الحميد يونس وآخرون: دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الرابع، ص ص ٣٦١، ٣٦٢

(٣٢) عبد الحميد حامد سليمان: المرجع السابق، ص ص ١٢٤، ١٢٥

(٣٣) محكمة مصر القديمة: س٩٨، م٣٢٤٦، ص٨٦٧

(٣٤) محكمة مصر القديمة: س١٠٠، م٤٨٧، ص٢٤٣. وقد لاحظ جب وبوون هذا وأعلنا أن صوباشي (التيمار أو الخزانة) لهم الحق في الإتاوات المتحصلة من الغرامات المفروضة على المذنبين. جب وبوون: المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، ج١، دار المعارف، ١٩٧٠، ص٢١٨

(٣٥) محكمة مصر القديمة: س١٠٤، م٢٣١٣، ص١٦٣٥

(٣٦) دشت ١٦٦ لسنة ١٠٥٧هـ، ص ص٩، ١٠

(٣٧) محكمة مصر القديمة: س١٠١، م١٢٠٥، ص٤٦٧

(٣٨) محكمة مصر القديمة: س١٠٣، م١٩٥، ص٨٤ لسنة ١٠٧٧هـ

(٣٩) محكمة مصر القديمة: س١٠١، م٣٩٢، ص١٤٥

(٤٠) انظر: الفصل الرابع حول تجارة الشيخ على البديوى هذا

(٤١) محكمة مصر القديمة: س١٠٢، م١٨٤٢، ص٦٩٦

(٤٢) عبد الحميد حامد سليمان: المرجع السابق، ص١٢٩

(٤٣) محكمة مصر القديمة: س٩٨، م٣٧٤، ص١٠٥

(٤٤) نفسه: م٢٠٣، ص٥٤

(٤٥) محكمة مصر القديمة: س١٠٢، م٨٣١، ص٢٨٨ لسنة ١٠٧٠هـ

(٤٦) محكمة مصر القديمة: س١٠٢، م٨٣١، ص٢٨٨

(٤٧) محكمة مصر القديمة: س٩٨، م١٣٥٣، ص٣٧٤

(٤٨) نفســه : م١٩٤٩ ، ص٥١٠

(٤٩) راجع الفصل الثالث .

(٥٠) محكمة مصر القديمة : س١٠٢ ، م٤٥٦ ، ص١٦٦

(٥١) الدوادار والدواندار من الكلمة العربية دواة والفارسية (دار) بمعنى الصاحب والقيم . وهى وظيفة قد أنشأها السلاجقة ، وقال أحمد السعيد سليمان بوجود هذا المنصب في الدولة العثمانية حيث كان بمثابة رئيس للكتاب وكان للنشانجى دويدار وفي الدفتردارية دويدار بالمالية . ولكنه لم يذكر وجود دويدار للصوباشي انظر : أحمد السعيد سليمان : تأصيل ما ورد في الجبرتى من الدخيل ، دار المعارف ، ١٩٧٩ ، ص١٠٩ - ١١١

(٥٢) محكمة مصر القديمة : س١٠١ ، م٢٧٨ ، ص ص١٠٣ ، ١٠٤

(٥٣) دشت ٤ ، ص٤٦٣ لسنة ٩٣١هـ

(٥٤) محكمة مصر القديمة : س١٠٠ ، م٤٢٤ ، ص٢٠٩

(٥٥) محكمة الإسكندرية : س١٤٩ ، م١٩٩ ، ص٧٢ لسنة ١٠٥٣هـ

(٥٦) عبد الحميد حامد سليمان : المرجع السابق ، ص١١٩

(٥٧) محكمة مصر القديمة : س١٠١ ، م٢٧٦ ، ص١٠٣

(٥٨) عبد الرحمن نصر الشيرزى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة . تحقيق السيد الباز العرينى ، ط٢ ، دار الثقافة ، ١٩٨١ ، ص١٢

(٥٩) محكمة مصر القديمة : س٩٨ ، م٦٨٧ ، ص٢٠٠

(٦٠) الخردة : مجموعة ضرائب متنوعة تفرض على " العوالم " و " أصحاب الألاعيب " – وعن الخردة وسبب ميرى أمين الخردة . انظر : حسين أفندى الرزنامجي : ترتيب الديار المصريةز مجلة كلية الآداب . مجلد ٤ ، ج٢ ، ١٩٣٦ ،ص٥٦ -السؤال الرابع عشر .

(٦١) حسن عثمان : مصر في العهد العثمانى فى المجمل فى التاريخ ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ص٢٦٠ ، ٢٦١

(٦٢) إستيف : وصف مصر ، ج٥ . ط١ ، مكتبة الخانجى ١٩٧٩ ، ص١٢٣

(٦٣) حيث كانت هناك علاقات تجارية للمدينة مع هذه البلدان . وللمزيد

انظر: الفصل الرابع.

(٦٤) محكمة مصر القديمة: س١٠٠، م٦١٧، ص ص٢٩٩، ٣٠٠ - ويؤكد فولني بالفعل أن الجمارك قد تولى أمرها اليهود وفقًا لعادة قديمة، ولكن على بيك الكبير خلعهم منها عام ١١٨٣هـ/١٧٦٩م وآل أمر الجمرك إلى مسيحي سوريا. انظر: فولني: ثلاث أعوام في مصر وبر الشام. ترجمة إدوارد البستاني، منشورات دار المكشوف، ط٢، بيروت ١٩٤٩، ص١٤٥

(٦٥) محكمة مصر القديمة: س١٠٤، م٢١٠٤، ص١٥٦٥ وكذلك س١٠٥، م٦٣٧، ص٢٠٨

(٦٦) نفسه: م١٧٣٦، ص١٤٤٣

(٦٧) محكمة مصر القديمة: س١٠٣، م٩٩٢، ص٦١٥

(٦٨) محكمة مصر القديمة: س١٠٥، م٣٠٧٨، ص٣٠٤٥، وقد تحدث Con-beأيضًا عن جمرك البهار الذى يقع على الطريق الصحراوى بين القاهرة والسويس ويرى أن جمرك مصر القديمة على ساحل أثر النبى تابعًا لجمرك البهار هذا.

Etienne Conbe: L'Egypt Ottomane De La Conquete For Selim (1517) A L' Arriree De Ponaparte (1798) p88

(٦٩) محكمة مصر القديمة: س١٠٤، م٢٤٣١، ص١٦٧٨

(٧٠) محكمة مصر القديمة: س١٠٥، م٧٠، ص٢٦

(٧١) عبد الحميد حامد سليمان: الرسوم الجمركية على البن في مصر في القرنين ١٧، ١٨ الميلاديين، بحث مقدم في المؤتمر الدولى المنعقد في الفترة من ٨-١١ أكتوبر ١٩٩٧، مونبلييه - فرنسا، ص٤

(٧٢) وقد قمنا بنشر بعض أصول هذا الدفتر في ملحق رقم (١).

(٧٣) دفتر مال الأسكلات ومقاطعات. بنفس المحروسة - قلم شهر ١٠٣٦هـ، عين ٥٣، مخزن تركى ١، رقم الحفظ النوعى ١، مسلسل عمومى ٤١٣٩

(٧٤) راجع: ناصر أحمد إبراهيم: المرجع السابق، ص٤ وما بعدها

(٧٥) دفتر أصول مال جمارك ومقاطعات ومال أسكلة ومقاطعات قلم شهر در

واجب ١٠٨٨هـ، مخزن تركى ١ ، رقم الحفظ النوعى ٢ ، مسلسل عمومى ٤١٤٠

(٧٦) دفتر أصول مال أسكلة ومقاطعات قلم شهر در واجب ١٠٨٩هـ، مخزن تركى ١ ، رقم الحفظ النوعى ٣ ، مسلسل عمومى ٤١٤١

(٧٧) دفتر أصول مال أسكلة ومقاطعات ، عين ٥٣ ، مخزن تركى ١ ، رقم الحفظ ٧ ، عمومى ٤١٤٥

(٧٨) دفتر إيرادات الجمارك (مقاطعة أسكلة بولاق ومصر القديمة) لسنة ١١٠٩هـ ، عين ٥٣ ، مخزن تركى ١ ، رقم الحفظ النوعى ١١ ، مسلسل عمومى ٤١٤٩

(٧٩) دفتر مال وارد إلى الخزينة العامرة من أقلام سنة ١١١١هـ، عين ٢٩ ،مخزن تركى ١ ، رقم الحفظ ٩ ، مسلسل ٢١١١

(٨٠) دفتر مقاطعة احتساب باب الأوجاقات بإسكندرية وبولاق وتوابعها ، عين ١٧ ، مخزن تركى ١ ، رقم الحفظ النوعى ١٠ ، مسلسل عمومى ٥٢٥٣

(٨١) دفتر مقاطعة احتساب باب الأوجاقات بإسكندرية وبولاق وتوابعها ، عين ١٧ ، مخزن تركى ١ ، رقم الحفظ النوعى ١٠ ، مسلسل عمومى ٥٢٥٣

(٨٢) دفتر أصول مال أسكلة ومقاطعات ، عين ٥٣ ، مخزن تركى ١ ، رقم الحفظ ٧ ، مسلسل عمومى ٤١٤٥

(٨٣) فقد عثر عبد الحميد حامد سليمان على دفتر فريد من نوعه يوضح الإصلاح المالى الذى قام به إسماعيل باشا عام ١١٠٧هـ١٦٩٤ / م. وهو دفتر إجمالى وترتيب زيادة مضاف للسيرى من غير مضافات انكسار الخزينة العامرة لأجل مساعدة انكسار ولاية محروسة مصر فى زمن حضرة إسماعيل باشا محافظ ولاية مصر سنة ١١٠٧هـ. ويقع هذا السجل فى عين ٢٤ ، مخزن تركى ١ ، رقم الحفظ ٥٠ ، المسلسل النوعى ٥٠

الفصل الثالث
الزراعـــة والصناعة

أولاً: الزراعـــة:

مصر بلد زراعى منذ فجر التاريخ، وهذه حقيقة قد تبلورت فى فكر ووجدان المصريين منذ عهد الفراعنة وإلى وقت قريب وقد تجسدت هذه الحقيقة أيضًا حول نهر النيل شريان الحياة فى مصر وأساس الزراعة بها حتى عبده المصريون القدماء باعتباره إلهًا للخير فأطلقوا عليه اسم " الإله حابى . " Hapiولأهمية هذا النهر العظيم نسجت حوله الأقاويل وذكرته العديد من الحضارات فيذكر فى قاموس الجغرافيا عند اليونان والرومان أن كلمة (نيلوس Nilus) من أصل عبرى وربما انتقلت إلى الإغريق عن طريق الفينيقيين كما أن العبرانيين أطلقوا على النيل اسم (نهال مصرايم Nahal Mis-raim) أى نيل مصر(١).

وظل النيل هكذا محط اهتمام المصريين وحكامهم عبر فترات التاريخ المختلفة لما سبروا أهميته، فأقاموا عليه المقاييس لمعرفة أوقات الفيضان والتحاريف. ولوحظ أن ماء النيل لا يتعفن أبداً، ولا تظهر عليه أية علامة من علامات التخمر، ويمكن التأكد من هذه الحقيقة من خلال البحيرات العديدة المنتشرة حول القاهرة الكبرى وتتغذى على مياهه(٢).

وما إن وطأت أقدام العثمانيين أرض مصر حتى شرع سليم الأول فى جمع بعض المعلومات عن أحوال مصر الزراعية. وأمر بمسح أراضى بعض المديريات مثل الشرقية والغربية. فكانت الزراعة موضع اهتمام العثمانيين ومصدراً أساسياً للخزينة المصرية ولغلال السلطنة الشريفة - كما سنرى فى الفصل التالى - فانتشرت زراعة القمح والشعير والفول وأحياناً الذرة إضافة إلى زراعة الخضر والفاكهة مثل الكمثرى والبطيخ والمشمش والخيارشنبر والسنامكى (السنا المكى) والفاصوليا واللوبيا التى انتشرت فى عدة مناطق وعنها يقول An-tonius Gonzales الذى زار مصر فى الفترة (١٦٦٥-١٦٦٦م) أن القنصلية الهولندية بالقاهرة أعطته خطاباً من مدرس فى جامعة ليد L'universite de Leyde يطلب منه إرسال معلومات كافية عن محصول اللوبيا المصرية. وبالفعل توصل إلى معلومات تفيد انتشار اللوبيا فى عدة أماكن فى مصر حيث إن مكان وطقس مصر مناسب لزراعة اللوبيا التى تأخذ أشكالاً كبيرة وصغيرة من اللوبيا الرومانية Les Haricots Romains على حد قوله(٣).

أما فى مدينة مصر القديمة فقد انتشرت الزراعة فى عدة مناطق منها بفضل اهتمام الإدارة العثمانية ووفرة وسائل الرى بها - ولكن لنا أن نتساءل ما هى نظم الزراعة والرى بها ؟ وما علاقاتها مع أشكال الحيازة ونظام الإلتزام ؟

نظم الرى والزراعة:

لقد انتشرت الزراعة فى عدة مناطق متفرقة بمصر القديمة ولقيت نجاحًا بفضل خبرة جماعة الغيطانية[٤] الذين ظهروا فى عدة مناطق منها ولاسيما خط السبع سقايات يتزعمهم شيخ، تسميه الوثائق " شيخ طائفة الغيطانية " والتى قد يتولاها شخصان فى آن واحد فقد تولى الشيخ عبد الله بن مبارك عرف بابن زوين والشيخ مهنا بن على مشيخة الغيطانية بالسبع سقايات عام ١٠٦٨هـ/١٦٥٧م[٥].

ففى دار النحاس وحمام جمدار وجدت البساتين والجناين مثل جنينة عابدى بيك داخل حارة بن سعيدة، وأرض الحسنية بنفس الخوخة المتحلل أرضها بأنشاب البلح وغيره[٦]. على أن أهم قطعة أرض بهذه المنطقة أرض العالمة المعروفة " بغيط الأمير المرحوم أحمد الصايغ قديمًا " وللأسف لم تحدد الوثائق مساحتها ولكن لا ينفى ذلك أهميتها خلال القرن وكانت تعج بأنشاب البلح والنارينج والليمون والمشمش والجميز يروى ذلك كله ساقيتان إحداهما خشب والثانية ثابتة على فوهة متصلة بالنيل. كانت أرض العالمة هذه فى بداية القرن ملك الحاج محمد بن زين العابدين الذى قام

م8 - حكاية ... الهيئة العامة لقصور الثقافة)

بتأجيرها عام ١٠١٧هـ١٦٠٨/م لكل من موسى بن أحمد وحجازى بن بدر الدين لمدة ثلاث سنوات بأجرة عن كل سنة تمضى من الذهب ١٠٠ دينار[٧]. ولكنها بعد ذلك قد آلت ملكيتها إلى الشيخ شمس الدين محمد أبو الفضل سليل السادات الوفائية الذى أدخل عليها بعض التعديلات والأنواع العديدة فأصبحت تضم بجانب الأنواع القديمة الخوخ والبرقوق والعنب والتين والزيتون والتوت والنبق والخيارشنبر والكباد النفاش والأضالية والليمون الحلو والحامض وأصول البلح الحيانى والأمهات والمجهل والبلدى وكل ذلك محاط بسياج (سور) إضافة إلى عدة سواقى خشب صالحة للإدارة[٨].

وقام الشيخ شمس الدين بتأجيرها فى ربيع الأول ١٠٧٨هـ١٦٧٦/م لمحمد ان نور الدين الجماميزى الغيطانى وشريكه أحمد بن أبو الخير المعروف بابن بربيط الغيطانى أيضًا القاطن كل منهما بدار النحاس إيجاراً لمدة عقد (ثلاث سنوات) نظير مبلغ ثلاثين ألف نصف فضة يقومان بها على ثلاثة أقساط، فى السنة الأولى ٨٠٠٠ والثانية ١٠٠٠٠ والثالثة ١٢٠٠٠ وقد تضمن عقد المساقاة والمغارسة بينهما عدة أمور أولها: إن المستأجرين المذكورين عليهما سقى ذلك وتنظيفه من الحشائش وتلقيح الأصول وإصلاح سواقى المياه إن حدث بها أى عطب. وثانيها: أن تقسم ثمار الأرض على ألف جزء وجزءٍ واحد لمؤجريهما الأستاذ شمس الدين وباقى ذلك للمستأجرين. وثالثها: إن عليهما إدارة السواقى

وأجرة مجاريها وعلف أثوارها وأجرة الخدمة بالأرض. ورابعها: إن ما يغرساه من تراقيد الغيط المذكورة يكون لا حق لهما فيه ولكن للمستأجر وإذا أنفقا في عمارة الأرض في مدة الإيجارة المذكورة عشرة أنصاف أو أقل تكون عليهما ولكن ما زاد عن العشرة أنصاف على مؤجريهما[9]. وقد أسهب على الأجهوري (٩٦٧-١٠٦٩هـ/١٥٥٨-١٦٥٨م) في وصف قانون المغارسة التي اعتبرها "عقد على تعمير أرض بشجر بقدر معلوم ......" وإن اختلف هذا القانون بعض الشيء مع عقد المغارسة الذي أوردناه بين الشيخ شمس الدين والمستأجرين المذكورين. فعلى الأجهوري قد أجاز للغارس الحق فيما تم غرسه ولكن بعد ثبوت هذا الغرس وبلوغه الحد المشترط، ولا يكون إلا في مدة طويلة[10]. وهو ما يتنافى مع عقد المغارسة الذي أوردته الوثيقة في حين يتفق معها الشرنبلاي في تحديد المدة سنة أو سنتين[11].

وفي هذه المنطقة أيضًا، نعني منطقتي دار النحاس وحمام جمدار، أراضٍ زراعية أخرى. فتذكر الوثائق حصة قدرها ستة أسهم من أصل ٢٤ سهمًا شائعًا ذلك في جنينة تحوي أنشاب البلح الأمهات. والبلدي والجميز والأتل والنبق والرومان ملك المعلم حجازي بن محمد المعروف بابن شوشة القاطن قرب هذه الجنينة[12]. وهناك جنينة أخرى بظهر دار النحاس قرب حارة الحمام تبلغ مساحتها نحو ٨ أسهم تحوي بير ماء على فوهتها ساقية خشب، بها ما يقرب من ٣٦ أصل بلح بلدي و ٣ نخلات من النشو

الصغير، وشجرتان من الكرم النشو أيضًا وأصل جوز، وأصل سرو، هذه الجنينة ملك الشيخ عبد الرازق أبو العطا بن وفا(١٣). ويبدو أن هذه المنطقة مستودع زراعة النخيل بالمدينة حتى قرب جامع عمرو الذى أحيط بأصول البلح الحيانى والبلدى أيضًا. وقد اعتادوا تقدير البلح بالعرجون(١٤).

وقد اعتاد سكان مصر القديمة على غرس الأشجار داخل المنازل أو في حديقة المنزل، ولدينا العديد من الأمثلة، فهناك منزل بأطراف حمام جمدار من ظهر الأماكن الجارية في جهة وقف المرحوم عبدى بيك قرب خوخة المرحوم أبو سعيدة المغربى، وقد ضم هذا المنزل قاعتين أرضيتين يعلوهما طبقتان وفسحة كشف سماوى مغروس بها أصل عنب وثلاث أشجار رمان وأصل توت وأصل سدر ونخلتان(١٥).

أما بحارة شنودة بمصر القديمة فقد عثرنا على أرض جناين من خلال وثيقة مؤرخة فى ربيع الثانى ١٠٥٩هـ/١٦٤٩م عندما استأجر مراد بن أحمد الغيطانى من المعلم أبشاى بن (غير مذكور) النصرانى اليعقوبى بالوكالة الشرعية عن المعلم مرقص النصرانى الناظر على وقف كنيسة أبى منقوريوس بالحارة المذكورة فأجر من التوكيل المذكور بياض أرض الجنينة التى تحوى أنشاب البلح الحيانى والأمهات البلدى والجارى ذلك فى الوقف المذكور أى أنها أراضى وقف. وكانت مدة الإيجارة أربع سنوات بأجرة عن كل سنة ١٤ قرشًا، واشترط فى عقد " المساقاة " أن يقوم المستأجر بسقى أصول

البلح وتنظيفها وتلقيحها وإصلاح الجنينة، ويتم تقسيم الثمار بينهما على ألف جزء من ذلك جزء واحد للمؤجر والباقى للمستأجر(١٦). أى إنه تضمن نفس شروط عقد المساقاة الذى أوردناه منذ قليل. ولقد كان لهذه الكنيسة أوقاف جناين أخرى بنفس الحارة تؤكد ذلك وثيقة أخرى بتاريخ ١٠٢٢هـ/١٦١٣م تحدد محتويات بياض أرض الجنينة من بلح أمهات وبلدى وبير الماء المركبة عليه الساقية الخشب(١٧).

وفى خط السبع سقايات امتلك السيد الشريف ناصف بن السيد أحمد بن حسن الحسينى المتفرقة والده والتوفكجى هو ناظر السيدة زينب جنينتين متقابلتين إحداهما تسمى " بالبغالة " والأخرى تسمى " بأم قائم " داخل حكر الصبان بالخط المذكور. وفى يوم ١٧ جمادى الأول ١٠٦٨هـ/١٦٥٧م جاء إلى الحاكم الحنفى بمحكمة قناطر السباع واشتكى من رجل يسمى سالم الغيطانى واضعا يده على الجنينتين من مدة أربع سنوات تقدمت على تاريخه، وإنهما صارتا خرابًا لعدم تقيده وتعاطيه الخدمة بهما. فأرسل الحنفى معه بعض شهود مجلسه من مشايخ الغيطانية بالديار المصرية، والغيطانية القاطنين بخط السبع سقايات وهم الحاج عبد الفتاح بن مبارك عرف بابن زوين والحاج مهنا بن على -- سبق التعرف بهما - شيخا طائفة الغيطانية بالخط المذكور والمعلم عبد الوهاب بن عبد اللطيف الغيطانى بجزيرة الفيل وتوجهوا إلى حيث الجنينتين فوجدوهما خرابًا. فوجدوا بجنينة أم قائم الدعائم المخصصة "لتكعيب

العنب " قد تهدمت وطرح العنب على الأرض، كل ذلك حدث فى مدة سالم المذكور وكانت الجنينتان قبله عامرتين بالأشجار والبناء والمياه[١٨]. وقد عثرنا على وثيقة مؤرخة فى الشهر التالى أى فى ٢ جمادى الآخر ١٠٦٨هـ تثبت أن الجنينتين (أم قائم والبغالة) قد رفعت يد سالم الغيطانى عنهما وصارا تحت إشراف الشريف ناصف وشخص يسمى أبا النصر بن سليمان الغيطانى اللذين شرعا فى إعادة تعميرهما مرة أخرى[١٩].

وبالسبع سقايات أيضًا مساحات كبيرة من بياض أرضٍ تحت تصرف الأمير أحمد أغا بن عبد الله من أعيان طائفة التفكيجان بمصر المحروسة وهو الناظر الشرعى على وقف معتقه قانصوه باشا، ووجدت بهذه الأرض نحو ٧٤٠ أصل نارنج أو كباد، ومن المشمش ٦٥، ومن الجوز ٢٦، ومن الرومان ١٠٠، ومن النبق ٥، ومن الليمون ٢٠٤، ومن التوت ٢٠ ومن النخيل ٣٢ ومن التين ٣ ومن الجميز ٢، ومن الأتل ٤٩، ومن السنط أصل واحد[٢٠].

أما فى الروضة وفم الخليج فقد انتشرت البساتين والحدائق بشكل ملحوظ وهذا أمر طبيعى للاقتراب من النيل الأمر الذى يسهل عملية الرى. ففى الروضة هناك قطعة أرض قرب المقياس أسمتها الوثائق " بغيط السلطان قديمًا " وهى تدخل ضمن أملاك السادات الوفائية وتقدر مساحتها بنحو ١٢ سهمًا من ٢٤ سهمًا وقد توارثها أبناء بنى الوفا طوال القرن جيلاً بعد جيل، وكانوا غالبًا ما يؤجرونها لمن يرعاها نظير مبلغ معلوم. ففى عام

١٠٢٢هـ١٦١٣ / م قام الشيخ الإمام عبد الفتاح أبو الأكرام بن وفا ببيع أصول متعلقات الليمون بها لشخص يسمى أحمد بن موسى البهوتي بثمن قدره ٤٨ دينارا شريفة[٢١] . أما في عام ١٠٥٨هـ١٦٤٨ / م أجر الإمام يحيى أبو اللطف بن وفا من هذه الأرض نحو ستة أسهم فقط منها وكانت تحوى أصول بلح وليمون وكباد ومشمش وكمثرى وغيرها وذلك لمدة عقد نظير ٩٠٠ نصف فضة عن كل سنة[٢٢] . أما زين الدين محمود أبو السرور الوفائى فقد أجر الـ ١٢ سهمًا كلها بما عليها من الفاكهة المختلفة والسواقى الخشب لمدة عقد كامل يبدأ من سنة ١٠٦٣هـ١٦٥٢ / م نظير ٥٠٠٠ نصف عن كل سنة[٢٣] .

وقد عثرنا على عقد مغارسة لهذه الأرض من خلال وثيقة مؤرخة فى يوم الإثنين مستهل ربيع الثانى ١٠٧٠هـ١٦٦٩ / م بين زين الدين محمود المذكور المالك لها والمستأجر وهو المحترم محمد بن زين المعروف بالحلفاوى الغيطانى بروضة مصر القديمة. وقد نص العقد على أن جميع ما يغرسه المستأجر المذكور من الأشجار يكون له النصف فيها[٢٤] . بذلك يكون عقد المغارسة هذا قد توافق مع ما ذكره على الأجهورى من قبل، وتنافى مع عقد مغارسة آخر قد تم على أرضٍ بمصر القديمة نعنى أرض العالمة المعروفة بغيط الأمير أحمد الصايغ قديمًا.

إضافة إلى ما تقدم رأينا أرضًا أخرى بالروضة ولكنها أرض بياض أيضًا سميت " أرض غيط الماوردى " ولكن ما لفت أنظارنا هو العثور

على أرض طين سواد بها عندما استأجر زين الدين عثمان الجرواني عام ١٠١٥هـ١٦٠٦/م من الجمالي يوسف الفاسي قطعة الأرض الطين السواد بروضة مصر القديمة المجاورة للشيخ راشد لينتفع بها المستأجر المذكور في الزرع والزراعة لمدة ثلاث سنوات نظير ٣٦٠ نصف فضة(٢٥). ووجدنا أيضًا قطعة أرض أخرى بالروضة ضمن أوقاف السلطان قايتباي(٢٦).

وإذا انتقلنا تجاه الروضة بمحاذاة النيل صوب الجنوب نجد منطقة الآبار الشريفة، وصوب الشمال الشرقي قليلاً منها نجد فم الخليج، وكلا المنطقتان تحويان بساتين. فالآثار نتيجة الاتجاه الجغرافي نحو النيل أصبحت موارد المياه ميسورة إضافة إلى كونها مع منطقة حمام جمدار يمثلان قبلة التجار والبحارة. فانتشرت بها أصول البلح والنارنج والليمون .... إلخ، وتعتبر جنينة ياسين قديمًا وملك الأمير ذو الفقار بن عبد الله الخشاب - من أمراء المتفرقة ويقطن بخط الرميلة - الآن أهم حدائق المنطقة إضافة إلى أرض " أولاد معيلفة " التي اشتراها الأمير ذو الفقار المذكور عام ١٠٦٩هـ١٦٥٨/م من الأمير سليمان أمين السواقي السلطانية وزعيم مصر القديمة(٢٧). أما فم الخليج فمن أهم المناطق الزراعية في المدينة على الإطلاق، وقد لقيت هذه المنطقة اهتمامًا كبيرًا من جانب الإدارة العثمانية، حيث كان الباشا يحضر عملية كسر الخليج عقب فيضان النيل وما يتبعها من احتفالات وزينات. وقد عُين " متحدثًا " عليه يشرف على عملية جرف الخليج هذه وكذلك

تنظيفه من الحشائش وما يعوق جريانه ففي يوم ١٩ جمادى الثانى ١٠٥٩هـ١٦٤٩/م بناء على معرفة الأمير سليمان كاشف ولاية الأطفيحية سابقًا والمتحدث على فم الخليج بمصر القديمة قد تقرر جرف الخليج من بداية فمه عند مجرى النيل حتى نهاية قنطرة الجسر المعروفة بقناطر السباع تجاه مقام العارف بالله شمس الدين محمد أبو النحال(٢٨).

وعملية جرف الخليج هذه عادة قديمة تتم نظير أجر معلوم للمتحدث والعمال الذين يعملون تحت يده. فمحمد بن قرا حسن الجبجى كان متحدثًا على جرف الخليج عام ١٠٠٣هـ١٥٩٤/م ومعه كل من الخولى عمر بن شحاذة بن خميس من ناحية شيحة والخولى إسماعيل بن إسماعيل كل منهما بالجرافة المذكورة. وقد شهدوا جميعًا إنهما قبضا واستوفيا لهما ولبقية صبيان الجرافة ولمن يستعينان بهم فى جرافة الخليج الناصرى وحفره وتنظيفه على العادة القديمة أجرة ذلك. وكان يعمل معهم نحو ثلاثين نفرًا أجرة كل شخص منهم نحو ثلاثة أنصاف(٢٩).

كذلك انصب اهتمام الإدارة على السواقى السلطانية المركبة على فوهة الخليج لرفع المياه اللازمة للرى والشرب. فقد كان لها متحدث يرعى شئونها ومدولبون وسواقون وشاد إضافة إلى الأثوار (ثيران) التى تدور هذه السواقى والتى كانت تخرج لها عليقة خاصة من شونة الغلال قدرتها الخزينة المصرية آنذاك نحو ١٠٠٠٠ بارة عام ١١١١هـ١٦٩٩/م(٣٠). لذلك كان طبيعيا أن تنتشر

الحدائق والبساتين على شواطئ الخليج الناصرى، وكانت المناظر بديعة جذبت العديد من السكان والنبلاء للسكنى بها(٣١).

وقد زار العديد من الرحالة خلال القرن منطقة فم الخليج هذه وأبدوا إعجابهم بها وبمناظرها وحدائقها وحفلاتها، فمن هؤلاء "روشت - بلان - ميرسون - فانزليب" وغيرهم كثيرون(٣٢).

نستنتج مما سبق أن مصر القديمة لم تكن منطقة ريفية قلبًا وقالبًا، بل كانت منطقة حضرية تضم بعض البساتين والحدائق التى تعج بألوان الفاكهة المختلفة اعتمدت على وسائل رى بدائية إلى حدٍ ما تتناسب مع متطلبات ذلك العصر نعنى " السواقى " التى إما تأخذ من النيل مباشرة وإما من الآبار المحفورة بخصوص ذلك، وعمومًا هى عملية ديناميكية تهدف قبل كل شىء إلى توفير المياه اللازمة سواء للرى أو للشرب.

أشكال الحيازة والالتزام:

الحق أن فكرة تملك الأراضى الزراعية فى مصر فكرة غاية فى التعقيد منذ البدايات الأولى. فقد انكب نفر من الباحثين فى محاولات جادة لوضع أسس ومعايير يمكن عن طريقها التعرف على أشكال حيازة الأرض الزراعية وملكيتها فى مصر. فى البداية كانت فكرة ألوهية الملك أو الفرعون تسيطر على الأجواء لذلك تملك الفرعون بإعتباره إلهًا كافة الأراضى الزراعية فى البلاد، أما الأفراد فقد حرموا من حق الملكية وإن كان بعضهم قد مُنح بعضها بناء على صفات معينة، ولكنها منحة ملكية موقوتة أى حق انتفاع مؤقت

على هذه الأراضى، أما ملكية الرقبة فإنها تظل دائماً فى يد الفرعون(٣٣). ولكن بدأت الصورة تتغير بمرور الزمن فظهر النظام الإقطاعى ثم تطور فى مصر الإسلامية وظهر ما يسمى " بالإقطاع الحربى " زمن الأيوبيين، أما فى عصر المماليك الجراكسة فقد اضطرت الدولة إلى بيع أملاك بيت المال سواء عقارات أو أراضٍ زراعية نتيجة العجز المالى الذى أصابها، وغير خافٍ أن بيع الأراضى إلى الأفراد أحدث تغيراً كبيراً فى شكل الحيازة(٣٤). وقد استمر هذا التغيير فى العصر العثمانى فظهرت حيازة الأفراد إضافة إلى أراضى الأوقاف بجانب أراضى الدولة.

وفى مصر القديمة اتضحت معالم الملكية الزراعية خلال العصر العثمانى، فظهر ذلك من العرض السابق عند الحديث عن أراضى البساتين والحدائق بها. فرأينا العديد من هذه الأراضى التى انتشرت داخل المدينة قد آلت ملكيتها إلى أفراد عاديين مثل أرض العالمة وأم قانم والبغالة وأرض الماوردى بالروضة وغيرها. وتؤكد الوثائق أن محمد بن الحاج أحمد بن موسى المعروف بالهتونى الغيطانى قد امتلك نحو ٩ قراريط بجوار جامع المعزية وكوم بن غراب بحمام جمدار عام ١٠٦٠هـ/١٦٥٠م(٣٥). وأيضاً أكدت أن يوسف جاويش قد حاز نحو نصف فدان من الطين السواد قرب قصر العينى بمصر القديمة، وقام بتأجيره عام ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م للشيخ محمود شيخ طائفة الأعجام بتكية قصر العينى لمدة ثلاثة عقود عنهم تسع سنوات بأجرة عن كل سنة ١٠٠ نصف فضة(٣٦). هذه الأمثلة على

سبيل الذكر لا حصر لها تؤكد أن ملكية الرقبة (الأفراد) للأرض الزراعية كانت موجودة وبشكل ملحوظ داخل المدينة لاسيما فى القرن السابع عشر وإن كانت ملكيات لمساحات قليلة وهذا يعود كما قلنا إلى طبيعة مصر القديمة من حيث كونها مدينة حضارية أكثر منها ريفية. أما أراضى الأوقاف.فقد ظهرت بصورة ملحوظة فى الروضة والسبع سقايات، وهى فى مجملها أراضٍ معفاة من الضرائب لكونها تنفق ريعها على أوجه البر أو المؤسسات الدينية والتعليمية المختلفة، وقد ظهر منها العديد خارج النطاق الجغرافى لمصر القديمة، ولكن خصص ريعها على بعض المصالح بها. فتذكر وثيقة (دشت مؤرخة فى ١٦ ربيع الأول ١٠٠٩هـ/١٦٠٠م) أن نحو خمسة أفدنة طيناً سواد بأراضى ناحية ناى بالقليوبية[٣٧] كانت ضمن أوقاف جامع عمرو بن العاص[٣٨].

ويؤكد عبد الرحيم عبد الرحمن أن العثمانيين أداروا الأراضى المصرية منذ دخولهم مصر حتى منتصف القرن السابع عشر عن طريق نظام المقاطعات أو ما كان يسمى بالأمانات. هذا النظام يرى أن كل قرية أو عدة قرى متقاربة تكون مقاطعة أو أمانة أى تكون وحدة إدارية ومالية فى نفس الوقت، وعلى كل مقاطعة أو أمانة عامل مسئول عن المال الميرى المقرر على مقاطعته. ولكن لما فشل نظام الأمانات نتيجة تعسف الأمناء مع الفلاحين ظهر نظام مطور لنظام المقاطعات أو الأمانات أطلق عليه نظام الالتزام كان قد طبق من قبل فى بعض بلدان الدولة العثمانية لاسيما فى الأناضول والروملى وشمال العراق[٣٩].

نستخلص مما ذكره عبد الرحيم عبد الرحمن وغيره أن نظام الالتزام قد ظهر في المناطق القروية، وهذا يعني استحالة وجوده في مصر القديمة، وهو أمر تأكدنا منه بالفعل من خلال فحص السجلات والوثائق المتعلقة بالمدينة. ولكن لا يعني ذلك إنها لم تمت بصلة من قريب أو بعيد للالتزام. فقد كان العديد من الصوباشية وأمراء الألوية بها بجانب مهامهم الأمنية والإدارية كانوا ملتزمين على أماكن ريفية سواء في الوجه القبلي أو البحرى، ولدينا العديد من الأمثلة على ذلك، فالأمير ذو الفقار أمير اللوا بمصر القديمة عام ١٠٥٩هـ/١٦٤٩م كان ملتزماً أيضاً على ناحيتي الحمام وشبروتي بالغربية(٣٩). كذلك التزم الأمير عبدى بيك - أمير اللوا بمصر القديمة عام ١٠٥٣هـ وما قبلها - على نواحي طبهتار والمناشي ونصف ناحية دشية بإقليم الفيوم(٤٠). ثم دخل في التزامه أيضاً بنفس الإقليم عام ١٠٦٧هـ/١٦٥٧م بجانب هذه النواحي ناحية سمباط وجردوا وأهريت(٤١). وأيضاً التزم الأمير سليمان بن محمد جاويش صوباشي مصر القديمة في فترة (١٠٥٥-١٠٧٤هـ) على بعض المناطق الزراعية بولاية الأطفيحية(٤٢). وقد استمر الأمير سليمان هذا ينتفع بناحية المسانيد بالأطفيحية حتى عام ١٠٦٦هـ/١٦٥٦م حيث أسقط حق انتفاعه بهذه الناحية للأمير حسين بن عبد الله من أعيان الجاويشية نظير مبلغ ١٢٥٠٠ نصف فضة دفعها الأمير حسين لجهة الديوان العالي فتسلمها المعلم شموال اليهودى صراف أمين الجاويشية بالديوان ليحاسب بذلك الأمير سليمان المذكور مما عليه من الأموال الديوانية(٤٣).

ثانيـاً : الصناعة :

علق الكثير من الباحثين حول ما قام به سليم الأول العثماني بعد إتمامه فتح مصر وعزم على الخروج منها فاصطحب معه أعداداً كثيرة من الصناع وأرباب الحرف المختلفة إلى القسطنطينية . وأن مثل هذا التصرف الذى أقدم عليه سليم كان هو السبب الأساسي - كما يرى جمال الدين الشيال وغيره - وراء انحطاط الحياة الاقتصادية في مصر فى العصر العثمانى(٤٤) . ولكن لا ينفي ذلك وجود العديد من الصناعات وطوائف الحرف قد استمرت بشكلٍ واضح فى مصر خلال تلك الحقبة .

صناعة الفخـار :

من الصناعات القديمة بالمدينة ، فقد انتشرت بها منذ عهد الطولونيين فى القرن (٣هـ/٩ م) عندما كانت تسمى بالفسطاط ويذكر أن المدينة ظلت محتفظة بتقاليد هذه الصناعة حتى نهاية العصر المملوكى ق١٠هـ/١٦ م(٤٥) . وتؤكد الوثائق استمرار صناعة الفخار بها حتى القرن ١١هـ/١٧ م. فقد انتشرت جماعة القللية بها لاسيما فى منطقة فم الخليج ، وانتظموا تحت لواء شيخ الطائفة ، فتولى المعلم محمد بن على البوشي مشيخة طائفة القللية بمصر القديمة عام ١٠٧٧هـ/١٦٦٧ م(٤٦) فى حين تولاها المعلم محمد بن منصور بفم الخليج عام ١٠٨٦هـ/١٦٧٥ م(٤٧) .

ومنطقة فم الخليج كانت بمثابة مستودع صناعة القلل والأوانى الفخارية خلال القرن السابع عشر ، حيث انتشرت بها العديد من

الفواخير مثل فاخورة المعلم على البديوى والمعلم محمد النقيطى والمعلم شكر الزبدانى، وتركزت معظمها فى حارتى الكيزانية والدخامسة اللتين اشتد التنافس بينهما حول صناعة القلل، فكانت لكل منهما ما يميزها عن الأخرى بحيث يمكننا التمييز بينهما كالقول بأن هذا " شغل الكيزانية وهذا " شغل الدخامسة ". وهذا بالطبع على عكس الحال في القرن ١٦ من حيث انتشار الفواخير خارج نطاق فم الخليج فعلى سبيل المثال لا الحصر وجدنا فى عام ٩٧٩هـ١٥٧١ / م فاخور بكوم الجراح - مسقط رأس سيدى أبو السعود الجارحى - تحوى عدداً من المخازن وتنتسب إلى شخص يسمى عبد القادر بن موسى(٤٨).

وكانت طائفة القللية بمصر القديمة تتعاقد مع بعض الأفراد لحمل الطين اللازم لصناعة القلل على ظهور الدواب، فقد استمر جاد الله ابن جويدة بن على الصعيدى الطيان فى حمل الطين اللازم لطائفة القللية بمصر القديمة وغيرها لأكثر من خمس سنوات بدأت منذ سنة ١٠٨٧هـ واستمرت لما بعد عام ١٠٩٢هـ(٤٩). وأيضا وجد الشماسرة فى الأطيان بمصر القديمة مثل عبد الجواد بن حسونة الشمسارنى طين البوادق، ومحمد بن عبد الجواد فى طين الويكن(٥٠).

صناعة الزيوت والشموع:

تؤكد المصادر التاريخية وجود صناعة استخراج الزيوت بالمنطقة منذ القدم. حيث انتشرت المعاصر فى الفسطاط بعد إتمام تخطيطها هذا ما يؤكده السيوطى وابن ظهيرة وغيرهم(٥١).

وفى مصر القديمة وجدت العديد من المعاصر أيضًا خصصت لعصر الزيت الحار والحلو بمنطقتى حمام جمدار ودار النحاس. فكانت معصرة الزيت الكائنة بحمام جمدار أكبر هذه المعاصر بالمدينة بما تضمه من حواصل (مخازن). إضافة إلى معصرة السادات الوفائية بدار النحاس(٥٢). وكانت هذه المعاصر تعتمد على بذور الكتان والسمسم لعمل الزيت وغالبًا كانت المعصرة تتكون من أربعة عيدان وعشرة أحجار لعصر الزيت وطاحونين معدين لطحن البذر إضافة إلى الحواصل اللازمة لتخزين مستلزمات المعصرة وأيضًا بعض الزرائب المخصصة لدواب المعصرة(٥٣). هذه الدواب التى تنقل كميات البذور وغيرها.

وقد تعلق بكل معصرة العديد من العمال منهم الزياتون والمعصرانية والمدولبون، وكانت خدمة الدولبة أهمهم على الإطلاق، عمل بها خاصة فى معصرة الزيت بحمام جمدار شخصيات لعبت دورًا فى المدينة مثل المعلم حسين بن على الخولى(٥٤) صحيح أنه فى بعض الفترات قد أناب عنه بعض الأشخاص، ولكن هذا لا ينفى مدى أهمية تلك الوظيفة. وظهر العديد من الزياتين بمصر القديمة على طول القرن السابع عشر وكان طبيعيًا أن ينتشروا فى حمام جمدار ودار النحاس وبعضهم فى فم الخليج. فعمل الحاج مطر بن يوسف اللبان زياتًا بحمام جمدار فى النصف الثانى من القرن والمعلم أحمد بن خطاب الأحمدى زياتًا أيضًا ولكن فى دار النحاس، ومن الزياتين فى فم الخليج إبراهيم بن الحاج على القصاص(٥٥).

أما صناعة الشموع فهى من العلامات البارزة بالمدينة منذ القدم حيث وجود قصر بها يسمى " قصر الشمع " جاء اسمه إشارة إلى استخدام الشموع به بشكل منتظم منذ زمن بعيد كما ذكر المقريزى وغيره. فالشمع كان من الضروريات للإنارة بجانب القناديل، وكما رأينا فى موضع سابق أن العديد من الرحالة الذين زاروا المدينة وتفحصوا أبنيتها كانوا يعتمدون بشكل أساسى على الشموع. وقد حرص سكان مصر القديمة على ضرورة وجود هذه الصناعة بينهم، لذلك قاموا ببناء العديد من الأماكن المخصصة لعمل الشمع لاسيما الشمع السكندرى(٥٦).

صناعة ملح البارود:

تركزت صناعة ملح البارود فى روضة مصر القديمة لوجود معمل البارود بها، وتعتمد هذه الصناعة على ملح النطرون الذى يرد من الطرانة غرب رشيد حيث تتجمع مياه الرشح فى منخفض وادى النطرون ينتج عنها مادة ملحية حجرية هى ملح النطرون، إضافة إلى الأملاح التى ترد من إسنا وضواحى الإسكندرية والسويس(٥٧).

وكان يعمل بمعمل البارود هذا رجال من طائفة (الجبخانجية البارودية) يشرف عليهم (الجبجى باشا)(٥٨) ومنهم المعلم على بن شعبان بن عمر النحاس المدولب بالمعمل، والزينى سليمان بن عبد الله الشاد بهذا المعمل وسيد بن منصور المتحدث على جهة البارود بالروضة منذ عام ١٠١٨هـ١٦٠٨/م وكان يشرف على مركب

البارود المتعلق بالسلطنة الشريفة في نهر النيل، وتذكر الوثائق أنه في هذا العام أى ١٠١٨هـ أقر الشاب سمرون بن باسوس الرايس ببحر النيل بمركب البارود المذكورة أن عليه إحضار بعض المتعلقات الخاصة بالمركب حتى تنتظم عملية نقل البارود للمعمل، وإذا حدث تقصير منه عليه أن يدفع نحو ١٠ شريفي(٥٩).

وكان الأمير إبراهيم أغا قد تولى وظيفة (الجبجية) عام ١٠٢٣هـ١٦١٣/م بمعمل بارود روضة مصر القديمة(٦٠) وكان يشرف على تجهيز البارود المطلوب لاستخدام وتموين الجيوش العثمانية.

والجدير بالذكر أن جب وبوون يذكران أن السلطان مراد الثانى (١٤٢١-١٤٥١م) قد استعمل بالفعل المدافع التى ظهرت من قبل في غرب أوربا لما يقرب من مائة عام سابقة، وقد أنشأ مصانع أهلية لصهر المعادن وغيرها(٦١). وكان يشرف على هذه المصانع أو المعامل رجال من الجبخانية أى صانعو الأسلحة الذين يقومون تحت إشراف (الجبجى باشى) بتجهيز البارود اللازم للدولة.

النجارة وصناعة المراكب:

تعد أعمال النجارة من الأساسيات في كل زمان ومكان، لذلك كثر النجارون بالمدينة خلال القرن وكان لهم شيخ يرعى شئونهم ويباشر صناعتهم، فتذكر الوثائق اسم الحاج على بن محيى الدين شيخ طائفة النجارين بمصر القديمة عام ١٠٧١هـ١٦٦١/م(٦٢).

ودائماً ما تصدر الأوامر للنجارين بضرورة مراعاة الدقة والمهارة في

صناعتهم فيروى أن المعلم قاسم بن حسين المغربى النجار بمصر القديمة قد كلفه الأستاذ الأعظم شمس الدين محمد أبو الفضل عام ١٠٨٠هـ/١٦٧٠م بعمل بعض المشغولات الخشبية بمنزله، فعلى الفور قام المعلم قاسم وطائفته من النجارين الذين يعملون تحت يده بتنفيذ ذلك، ولكنه لم يحسن عمله وصنعته، فشكاه الأستاذ شمس الدين للقاضى المالكى بمحكمة مصر القديمة الذى توجه شهود مجلسه ومعهم أيضًا بعض من طائفة النجارين بالمدينة وهم محمد بن سليمان النجار والذمى بولس بن ميخائيل النجار والذمى يعقوب بن غالى النجار. فأخبروا جميعًا أنهم كشفوا على شغل النجار المذكور " فوجدوا صنعته ناقصة لم يقطع فرطها ولم يحسن ضبطها ". لذلك ألزم قاسم النجار برد المبالغ التى حصل عليها فى صورة أقساط مراعاة لحالته، وقدرت بنحو ١٦٩٣ نصف فضة(٦٣). فالدقة والمهارة فى الصناعة كانت أساسًا يتم مراعاته من قبل إدارة المدينة لذلك رأينا ما يمكن أن نسميه " بالتخصص " داخل طائفة النجارين بمصر القديمة خلال القرن. فهناك نجارون للأثاث والأوانى والمشغولات الخشبية كما هو الحال لدى قاسم المغربى وطائفته. ونجارون فى الطواحين التى انتشرت بالمدينة، فالمعلم حجازى بن منصور النخال كان نجارًا فى طواحين مصر القديمة عام ١٠٢٦هـ/١٦١٦م(١)، وجماعة النجارين فى المراكب كما سنرى.

وقد تعددت المصادر التى تجلب منها الأخشاب، فأحيانًا تنقل عبر النيل على ظهور المراكب من الوجه القبلى وأغلب الأخشاب

التى ترد منه من أخشاب السنط المعدة لعمل المراكب[٦٤]. وأحياناً أخرى كانت تأتى من بولاق قادمة من ميناء رشيد على مراكب الرويسا بهذه المدينة. ففى عام ١٠٥١هـ١٦٤١/م حمل الرايس عمران بن يوسف الرشيدى الرايس ببحر النيل المبارك للحاج مصطفى بن عبد الرحمن الخشاب ببولاق كميات كبيرة من الأخشاب على ظهر مركبه من ثغر رشيد إلى ساحل بولاق[٦٥]. هذه الأخشاب التى كانت تأتى من جنوب أوربا خاصة فرنسا[٦٦]. ودائماً ما كانت تصدر البيورلدات الشريفة بضرورة حمل الأخشاب خاصة أخشاب الصنوبر والخرس من الشام والديار الرومية[٦٧]. ولكن الأمر الذى لفت أنظارنا هو قيام مصر العثمانية بتصدير الأخشاب لبلاد الشام - كما ذكرت محافظ الدشت لعام ١٠٠٨هـ١٥٩٨/م - فقد قام الخواجا فرج بن الزينى حسن بن فرج الحمصى عرف بابن عكاراى من جماعة الينكجرية ببلاد الشام بشراء خشب محارة من بايعه محمد بن قرد، وتقدر الكمية بنحو ١٢ حملا وحملين زاملة على ظهور الجمال، كل ذلك بمبلغ قدره ١٠٤ دنانير شريفى وتحركت هذه القافلة من مصر الى الشام فى ١٠ رمضان ١٠٠٨هـ[٦٨].

أما صناعة المراكب بمصر القديمة فقد تأثرت بعض الشيء مما فعله سليم الأول من قيامه بنقل أمهر الصناع فى بناء السفن من مصر لصناعة الأساطيل والسفن فى الدولة العثمانية الأمر الذى جعل دور الصناعة المصرية تغلق أبوابها فى بعض الفترات[٦٩]. ولكن لا

يعنى ذلك نهاية المطاف، فقد كان لمصر القديمة رأى آخر خاصة أن ما قام به سليم الأول قد تم في بداية ق ١٦ ، ولما أقبل ق ١٧ تغيرت بعض الأمور. فقد انتشرت عملية نجارة المراكب وظهرت " جماعة النجارين في المراكب بمصر القديمة " - كما تسميهم الوثائق - ونخص منهم المعلم سرور بن إبراهيم النجار الذى تعاطى نجارة المراكب وتعميرها، وكان يعمل تحت يده العديد من النجارين الذين يسند إليهم من الباطن تعمير بعض المراكب، ففى عام ١٠٩١هـ/١٦٨١م قام المعلم سرور هذا وجماعته النجارون من الباطن بعمارة مركب وقارب للمحترم حجازى بن المرحوم حجازى عرف بالعيساوى الرايس ببحر النيل المبارك نظير أجر معلوم(٧٠) .لذلك كثرت المراكب بمصر القديمة وتعددت أنواعها مثل الأشكيف والشختور والزنكى وغيره من المراكب التى عددناها فى موضع آخر من هذه الدراسة.

وهى فى مجملها مراكب متفاوتة فى الطول ولكنها متقاربة فى الحمولة. وعموما صناعتها تدل على وجود نجارين وصناع مهرة أتقنوا صناعتها علهم يعيدون لنا أمجاد هذه المدينة التى خصها الإخشيديون منذ زمن لتكون داراً لصناعة السفن عندما كانت تسمى بالفسطاط.

الحياكة والصباغة:

أما عن صناعة الملابس ودق القماش فكان لها نصيب وافر بالمدينة يمارسها النصارى أكثر من غيرهم مثل يوسف بن عبد السيد

اليعقوبي الخياط بحمام جمدار لأكثر من ثماني عشرة سنة (١٠٧١-١٠٩٨هـ)[٧١]. وغيره من الذميين بحارة قصر الشمع وبخط جامع عمرو بن العاص عثرنا على وثيقة زواج لشخص يعمل بالحياكة أيضًا هو المحترم منصور بن عبد الله الذى أصدق مخطوبته وتدعى عرب بنت صالح من ناحية ديو بالمنصورة، نحو ٣٠ قرشًا عبرة كل قرش ٣٠ نصف فضة أى جملة الصداق نحو ٩٠٠ نصف فضة وهو مبلغ ليس قليلاً[٧٢]. وفى حارة قصر الشمع أيضًا كانت تتم عملية غزل الصوف الأبيض، بل إنه أحيانًا يتم جلب الصوف المغزول ففى عام ١٠٨٥هـ١٦٧٥ /م اشترى كل من الذمى سليمان ابن عبد رب المسيح والذمى إبراهيم بن عبد السيد بحارة قصر الجمع من الحاج أبو النصر بن سالم الصواف القاطن بخط طولون، صوفًا أبيض مغزولا بمبلغ قدره ستة قروش وثلثاى قرش وثلاثة أنصاف فضة[٧٣].

وأدخلت عملية الصباغة على الملابس المصنوعة سواء من القطن أو الحرير. ولم تمدنا الوثائق بالمعلومات الكافية عن عملية الصباغة فى مصر القديمة خلال القرن، حيث تكتفى فقط بالإشارة إلى وجود بعض المصابغ سواء فى دار النحاس أو فى حمام جمدار[٧٤]. ولكن لا يعنى صمت الوثائق عنها نفى وجودها. فمن خلال فحص المصنوعات والمشغولات داخل المنازل تبين لنا وجود بعضها ذات ألوان وأصباغ زاهية. إضافة إلى أنه يحوى مصنوعات من القطن والحرير سواء كانت محلية أو من

خارج البلاد . يؤكد ذلك العديد من النماذج التى بين أيدينا ، ولكن اكتفينا فقط بعرض نموذجين الأول : منزل مولانا الشيخ شهاب الدين بن أحمد الشهير بابن أبى الرداد بحمام جمدار رصدنا متعلقاته في ٢٨ جمادى الأول ١٠٥٨هـ١٦٤٨ / م يوضحها الجدول التالى(٧٥) :

السلعة	قيمتها بالبارة
طواق قطن	٥
قميص حرير قديم	٤
مرتبة قطن طويل	٣
ألبسة حرير قديم	٣
لباس رومى أبيض	٢
مقعد حرير طويل	٢
قفطان حرير ملون	٢
لحاف بغدادى ويمنى	غير مذكور
ملاية بيضاء قديمة	٢
قميص رومى ابيض	٢

يوضح لنا الجدول السابق أنواع الأردية السائدة فى مصر القديمة والخامات التى اعتمدت عليها صناعتها وقيمتها مقدرة بالبارة ، وأيضًا المجلوب من الخارج خاصة المصنوعات الرومية واليمنية والبغدادية .

أما النموذج الثانى : توضحه وثيقة مؤرخة فى ٢٠ شوال ١٠٦٩هـ١٦٥٩ / م وهى متعلقات لعائلة بنى الرداد أيضًا(٧٦) . يوضحها الجدول الآتى :

السلعة	قيمتها بالقروش
بساطين صوف ملون	١٤
كليم مخطط	١
جوز مراتب طوال	٢
سبع مخاد	٤
مفرش	٤
أربع مراتب (٢ مربع + ٢ طوال)	٣
أربع طراريح	٨
ثمان مخاد قطن	٣٤
لحاف	

الصناعات الغذائية :

هناك العديد من الصناعات الغذائية قد وجدناها بالمدينة خلال القرن مثل صناعة الخبز وعمل الزبادى واللحوم ودق البن. فصناعة الخبز وما يلحق بها من طحن الغلال اللازمة قد انتشرت فى أنحاء متفرقة تتم من خلال الطواحين. وقد انتظم الخبازون والطحانون فى طوائف خاصة بهم. فطائفة الطحانين قد تركزت فى حمام جمدار وقصر الجمع يتقيد أفرادها بعادات وتقاليد جرى العرف عليها من حيث اختصاص كل فرد أو طحان بمنطقة معينة يجمع الغلال اللازمة له ولا يتعدى على أى منطقة أخرى تابعة لأحد من بنى جلدته. وتسجل الوثائق شبه تعهد بين طائفة الطحانين بالخط المذكور (خط حمام جمدار وقصر الجمع) فى شعبان ١٠٦٦هـ١٦٥٦/م حتى لا يحدث الاختلال والتعدى، فجاء نص التعهد كالآتى: " ..... أنهم من تاريخه - أى ١٥ شعبان ١٠٦٦هـ- لا يتعدى أحد منهم على حصة رفيقه الآخر ولا يدور على الأبواب ولا يحمل أطحنة ويتوجه

بها إلى دولابه وأن كلاً منهم يتقيد فى طاحونه ينتظر نصيبه الذى يأتى له وكل من ظهر عليه بعد ذلك أنه تعدى على خط غيره ونقل الأطحنة إلى دولابه ولم يعمل بالقانون الجارى به العادة بينهم فى ذلك كان على المتعدى منهم ما يراه ولى الأمر فى ذلك بالوجه الشرعى حيث توافقوا وتراضوا على ذلك كله يوم تاريخه...."(٧٦).

وبعد إتمام عملية الطحن يوزع الدقيق بالتساوى على الخبازين فى أفرانهم حيث يقوم الطحانون بحمله إليهم بناء على أوامر عليا على العادة المتبعة منذ القرن السادس عشر، ففى صفر ٩٧٤هـ/١٥٦٦م أصدر قاضى القضاة محمد شاه إلى السادة النواب بمصر القديمة بولاق أمراً يقول فيه " إن كل من كان فى محله جماعة من الخبازين بمحلهم يكتب راتبهم من الدقيق والخبز ويلزمهم بعمل الخبز ويعرض الخبز بالعدد فإن احتج الخباز عدم وصول الدقيق إليه من الطحان على العادة فيحضر الطحان إليه ويلزمه بحمل راتب الدقيق إلى الخبازين على عادته حتى يكون الخبز موجوداً فى كل وقت لا ينقطع.. فإن حصل خلل فى ذلك فيكون اللوم عليهم لا يقبل فى ذلك عذر أو حجة ....."(٧٧).

لذلك احتل الخبز أهمية كبرى بمصر القديمة وحظى بإشراف منظم خضعت له طائفة الخبازين تحت إمرة شيخ الطائفة ونقيبها الذى كان يراقب بنفسه وزن رغيف الخبز الذى لا بد أن لا ينقص عن نصف رطل وهو الوزن القانونى له آنذاك. فقد ثارت ثائرته

المحترم سلامة بن محمد الجيزى نقيب الخبازين بمصر القديمة عام ١٠٦٠هـ/١٦٥٠م عندما رأى شخصاً يدعى أحمد بن نور الدين من طائفة الخبازين بالمدينة كان يحمل خبزاً ناقصاً عن الوزن القانونى حيث أحضر رغيفاً واحداً مما معه فوجده أربعة أواقٍ فلامه على ذلك وقبض عليه وسلمه للقاضى الحنفى بالمدينة(٧٨).

أما اللحوم بجميع أنواعها سواء بقرى أو جاموسى وما يلحق بها من الألبان والجبن وعمل الزبادى فكان طبيعياً أن تتوافر بالمدينة لوجود المذبح السلطانى الضخم بخط دار النحاس، وقد حصر فانزليب Vanslb محلات الجزارة - يقصد المذابح - فى القاهرة فكانت - على حد قوله - ٩ محلات ذكر منها مذبح مصر القديمة هذا(٧٩). ورغم وجود المذابح والسلخانات التى انتشرت فى العاصمة وغيرها إلا أن جومار Jomard يرى أن الشعب المصرى قليل الإقبال على تناول اللحوم وإذا فكر فى تناول بعضها غالباً ما تكون لحوم الجمال أو الجاموس(٨٠). حيث كان كبار النبلاء يستأثرون بوجبات اللحوم خاصة لحوم الأبقار الأمر الذى جعل فانزليب يطلق على محلات الجزارة التى عددها بالقاهرة مسمى "محلات جزارة النبلاء أو الكبار Boucheries du Grand seigneur"(٨١).

وهناك مذبح آخر بمصر القديمة لم يذكره فانزليب نعنى مذبح البقرى والجاموسى بخط السبع سقايات تجاه جامع الشيخ عز الدين الدمياطى. وقد لاحظنا أن مذبح دار النحاس أو حتى مذبح السبع سقايات كانا قد اختصا بلحوم البقرى أو الجاموسى وتعلق به الكثير

من الأعيان والمعلمين. فكان الحاج مراد بن المعلم خير الدين من أعيان المعلمين بمذبح السبع سقايات عام ١٠٥١هـ١٦٤١/م[٨٢].

والجدير بالذكر أن مذبح السبع سقايات هذا ضمن أوقاف المرحوم رستم باشا، وكان الأمير محمد أفندى كاتب طائفة العزب قد تولى نظارة هذا الوقف عام ١٠٩١هـ١٦٨٠/م وظل يباشر المذبح ويجمع العوايد المقررة على القصابين الذين يتعاطون ذبح البقر والجاموس لصالح الوقف المذكور، وقد قدرت الوثائق هذه العوايد بنحو ١٥ نصف فضة فى الشهر[٨٣]. وقد صدر بيورلدى شريف عام ١٠٨٩هـ١٦٧٨/م من قبل الوزير عبد الرحمن باشا بخصوص هذا المذبح جاء فيه " ضرورة منع جانب الحسبة بمصر المحروسة من التعرض لمذبح السبع سقايات بغرم أو ضرر "[٨٤].

وقد انتشرت جماعة القصابين والقبانية فى لحوم البقرى والجاموسى بمصر القديمة واتسعت دائرة تعاملاتهم فقد كان الحاج عثمان بن على البساتينى القصاب بمذبح مصر القديمة يبيع اللحوم خارج نطاق دائرته فى درب الجماميز وغيره، وكذلك اعتاد الحاج على بن عبد الخالق المناواتى القصاب فى البقرى والجاموسى أيضا بخط حمام جمدار أن يحضر ما يحتاج إليه من اللحوم بالجيزة وغيرها بعد إتمام الكشف عليها، فقد أحضر منها فى يوم ١٨ جمادى الأول ١٠٨١هـ١٦٧٠/م نصف ثور وجنب وظهر بقرة ولكن بعد الكشف عليه ثبت أن جزءاً منه " بايت وبه زيادة عظم وشغت وعروق " على حد تعبير الوثائق. وقد منع وزنَ اللحم بهذه الزيادات[٨٥].

وكان يشرف على عملية وزن اللحوم داخل المذابح جماعة القبانية نسبة إلى القبان الحديد الذى يستخدم فى عملية الوزن هذه، وغالبًا ما يتكون القبان من قبايب من الحديد ذات سلاسل وعقرب وقرص ورمانة من النحاس وسبيتات من الخشب(٨٦). ودائمًا ما يحرص على وجوده بدقة داخل مذابح مصر القديمة لمنع الغش أو التزوير عند تقدير لحوم البقرى أو الجاموسى، وأحيانًا كان القبان الحديد يستخدم بجانب ذلك فى وزن الحطب والفحم بمصر القديمة. وقد قدرت اللحوم بالرطل وحددت تسعيرة لكل وزن حتى يكون هناك شبه إجماع على سعر معين لضمان سير الحركة التجارية والمعاملات النقدية بين الأفراد داخل المدينة. وهو ما يوضحه الجدول الآتى:

السلعة	القيمة
لحم ضانى بعظمه (رطل وربع)	نصف فضة
لحم بقرى (رطل ونصف وربع)	نصف فضة
لحم جاموسى (رطل ونصف وربع)	نصف فضة
كوارع ضانى مسقى بالدهن	ثمانية أنصاف
لحم رأس بقرى (رطلين)	نصف فضة
كباب ضانى (رطل)	نصف عثمانى
جبن جالوم (رطل)	نصف فضة
جبن بلدى (رطل)	نصف فضة
سمن بقرى (رطل)	نصف فضة
سمن جاموسى (رطل)	نصف فضة
١٥٠ قنطار ثمن بقرى أو جاموسى	١٢٠٠ نصف جدد ونحاس أحمر(٨٧)

يوضح الجدول السابق أسعار لحوم البقرى والجاموسى وما يلحق بهما ، هذه الأسعار التى كانت ترد على لسان نقيب الحسبة فى مصر القديمة وأغلبها يعود إلى القرن السادس عشر وهو الأمر الذى وجدنا صعوبة فى العثور عليه خلال القرن السابع عشر ، وربما - كما أوردنا فيما سبق - أن محتسب مصر القديمة قد شاركه آخرون فى مهام وظيفته. وعموماً لم يطرأ تغير كبير على أسعار اللحوم آنذاك اللهم إلا فى أوقات القلاقل أو الشدائد.

وقد حاولنا رصد بعض أسعار المواد الغذائية الأخرى خلال القرن كأسعار الخبز والعجوة والفاكهة. وجاءت كالتالى:

السلعة	القيمة
رغيف خبز (نصف رطل)	نصف فضة
قنطار عجوة	١٥ قرشا
ثلاثة أرطال عنب	نصف فضة
رطل تفاح	نصف فضة
ثلاثة أرطال تمر بلدى	ثلاثة أنصاف

أما صناعة دق البن فقد ظهرت أيضاً فى مصر القديمة نتيجة إدخاله فى مصر منذ القرن ١٦ ، وقد أقبل عليه المصريون بشراهة فيروى جومار أنهم يتناولون منه ما بين ثمانية وعشرة أقداح فى اليوم(٨٨) . فعملية صناعته تتم أولاً بتحميص الحب على صوان من الحديد ، ثم تتم عملية سحق أو دق حبوب البن عن طريق مدق البن الذى يتكون من حجرى صوان مع قطعتين من الخشب وثلاثة أعمدة من الحديد وميزان ورطلين من النحاس لتقدير كمية البن التى تكون

بالفرق. وظهر خلال القرن السابع عشر بالمدينة العديد من الصناع ودقاقى البن مثل المعلم حسن بن سلطان دقاق البن عام ١٠٦٠هـ وكان يسكن في فم الخليج[٨٩]. وعبيد بن عمر وعامر الفيومى والمحترم أحمد بن محمد الذى ظهر فى النصف الثانى من القرن السابع عشر[٩٠]. قاموا هؤلاء جميعاً بإمداد المقاهى التى انتشرت بالمدينة فى جمام جمدار وجامع عمرو ودار النحاس وغيرها من مناطق المدينة المختلفة بما تحتاج إليه من البن المطحون الصالح للاستخدام.

الهوامش

(١) أبو اليسر فرح: النيل فى المصادر الإغريقية. مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، ١٩٩٥، ص ص٥٦، ٥٧.

(٢) جون أنتيس: مذكرات رحالة عن المصريين فى الربع الأخير من القرن ١٨ (١٧٧٠-١٧٨٢)، ترجمة سيد الناصرى، ص٦٨.

(3) Antonius Gonzales: Voyage en Egypte "1665-1666" traduit du neerlandais presente et ammote par Charles Libois p442

(٤) الغيطانية: هم أهل الخبرة العارفون بالأشجار وقيمها والغيطان والأصول وعيوبها انظر: محكمة قناطر السباع: س١٣٤، م٥٢٥، ص١٦٨

(٥) محكمة قناطر السباع: س١٣٤، م٥٢٥، ص١٨٦

(٦) محكمة مصر القديمة: س٩٨، م٤٠٨، ص٢٣٣

(٧) محكمة مصر القديمة: نفس السجل، م٤٨٨، ص ص١٤١، ١٤٢

(٨) محكمة مصر القديمة: س١٠٣، م٥٠٤، ص٢٠٠

(٩) نفسه: م٥٠٤، ص٢٠٠

(١٠) على الأجهورى: رسالة فى المغارسة. مخطوط بدار الكتب، فقه مالك ٣٦ ميكروفيلم ١٦٧٢٣-٤٢١١٠ ورقة ١ - ولنفس المؤلف عن المغارسة أيضا: أسئلة وردت من المغرب وأجوبتها. مخطوط بدار الكتب، فقه مالك ٣٩ ميكروفيلم ٤٢٠٢٤

(١١) حسن بن عمار بن على الوفائى الشرنبلاى: غنية ذوى الأحكام فى بغية درر الأحكام ج١. مخطوط بدار الكتب ٨١١، ٨١٢ فقه حنفى طلعت ميكروفيلم ٩٢٦٦-٩٢٦٧، ص٤٠٣.

(١٢) محكمة مصر القديمة: س١٠٠، م١٦٧، ص٦٩ لسنة ١٠٥٣هـ

(١٣) محكمة مصر القديمة: س١٠١، م١٠٦٦، ص ص ٤٠٤، ٤٠٥

(١٤) محكمة مصر القديمة س٩٩، م٣٤، ص٩ لسنة ١٠٢٥هـ - العرجون: هو من النخيل كالعنقود من العنب والجمع (عراجين). انظر: المعجم الوجيز، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٩٤، حرف العين، ص٤١٢

(١٥) محكمة مصر القديمة: س١٠٥، م٦٣٧، ص٢٠٨ لسنة ١٠٩٤هـ

(١٦) محكمة مصر القديمة: س١٠١، م٤٨٧، ص١٨٥

(١٧) محكمة مصر القديمة: س٩٩، م٤٩٨، ص٦٥٢

(١٨) محكمة قناطر السباع: س١٣٤، م٥٢٤، ص١٨٦

(١٩) نفســــه: م٥٤٤، ص١٩٦

(٢٠) نفســــه: س١٣٥، م٢٦، ص٨ لسنة ١٠٨١هـ

(٢١) محكمة مصر القديمة: س٩٨، م٢٦٩٧، ص٧٠٩

(٢٢) نفسه: س١٠١، م٢٩٦، ص١٠٩

(٢٣) نفسه: م١٣٦١، ص٥١٦

(٢٤) نفسه: س١٠٢، م٦٥٤، ص٢٥٤

(٢٥) محكمة قناطر السباع: س١٢٦، م٤٣، ص١٠

(٢٦) محكمة مصر القديمة: س٩٨، م٢٧٧٣، ص٧٣٤ لسنة ١٠٢٢هـ

(٢٧) محكمة مصر القديمة: س١٠٢، م٤٩٨، ص١٨٠

(٢٨) محكمة مصر القديمة: س١٠١، م٥٣٥، ص١٩٩ - وقد قدم البكرى وصفًا دقيقًا لعملية كسر الخليج الناصر وما يعقبها من احتفالات. للمزيد انظر: محمد بن أبى السرور البكرى: النزهة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية، تحقيق عبد الرازق عيسى، العربى للنشر والطبع، ط١، ١٩٩٨، ص٢٥٢

(٢٩) محكمة الباب العالى: س٦٣، م٢١٥، ص٤٥

(٣٠) دفتر مال وارد إلى الخزينة العامرة عام ١١١١هـ، رقم ٦ مسلسل ٢١١١ عين ٢٩ مخزن تركى ١

(31) P. Holt: Poltical and Social Change in Modern Egypt. London. 1958 - Quartiers et Nouvements Populaires au Caire. ou XVIII Siecle. Andre. Roymond p104

(٣٢) عن الخليج المصرى وأحواله خلال القرن انظر : كلا من :

Henry Blun. P38-

A. Morison: Voyage en Egypte "1697" Acte - inprime en 1975 Francais. P118-

P. Vansleb: DVN Voyage Fait en Egypte en (1672-1673) p121

وأيضًاA. Rocchetta: Voyage de 1593 p40

(٣٣) محمد السقا : تاريخ الشرائع القديمة فى الشرق والغرب . دار النهضة العربية، ١٩٩٥، ص ص٩٤، ٩٥

(٣٤) عماد بدر الدين أبو غازى : تطور الحيازة الزراعية زمن المماليك الجراكسة، عين للدراسات والبحوث، ط١ . ١٩٩٦ . ص١٠٤

(٣٥) محكمة مصر القديمة : س١٠١ ، م٧٦٠ ، ص٢٨٧

(٣٦) نفسه : م٧٨ ، ص٣٢.

(٣٧) ناى : هي من القرى القديمة وتتبع مركز قليوب، وتعرف الآن باسم نوى قرب شبين القناطر . انظر : محمد رمزى : القاموس الجغرافى، ج١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤ ، ص٥٩

(٣٨) دشت ١١٦ ، ص٤٣٢ لسنة ١٠٠٩هـ

(٣٩) عبد الرحيم عبد الرحمن : الريف المصرى فى ق١٨ ، مكتبة مدبولى، ط٢ ، ١٩٨٦ ، ص٨٩- وعن فشل نظام الأمانات وظهور نظام الالتزام انظر أيضًا : عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج١ : مكتبة الأنجلو . القاهرة، ١٩٧٨ ، ص١٤٥ حتى ص١٦٩

(٤٠) محكمة مصر القديمة : س١٠١ ، م٦٢٧ ، ص٢٣٦

(٤١) محكمة مصر القديمة : س١٠٠ ، م١٤٧ ، ص٥٩

(٤٢) محكمة مصر القديمة : س١٠٢ ، م١٩٧ ، ص٦٥

(٤٣) محكمة مصر القديمة: س١٠٠، م٤٨٧، ص٢٤٣

(٤٤) محكمة الباب العالى: س٣٣، م٤٠٣، ص١٠٦

(45) Gamal El- din El-Shayyal: Some Aspects of Intellectual And Social Life in Eighteenth-century Egypt. P115

مقال ضمن كتاب P. Holt

(٤٦) عاصم محمد رزق عبد الرحمن: مراكز الصناعة فى مصر الإسلامية (من الفتح العربى حتى مجيء الحملة الفرنسية)، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٩، ص٢٠

(٤٧) محكمة مصر القديمة: س١٠٣، م٢٨٨، ص١٢٠

(٤٨) محكمة مصر القديمة: س١٠٤، م١٤٨٦، ص١٣٤٢

(٤٩) محكمة مصر القديمة: س٩٣، م١٧٣٩، ص٣٢٨

(٥٠) محكمة مصر القديمة: س١٠٤، م١٧٢٦، ص١٤٤٠ وكذلك س١٠٥، م٩٤، ص٣٥

(٥١) محكمة مصر القديمة: س١٠٣، م٦٣١، ص٢٤٥ لسنة ١٠٧٨هـ وكذلك نفس السجل، م٦٥١، ص٢٥١

(٥٢) عاصم محمد رزق: المرجع السابق، ص٢٦

(٥٣) محكمة مصر القديمة: س١٠٠، م٢١٦، ص٨٨

(٥٤) محكمة مصر القديمة: س١٠٤، م٧٢، ص٤٥

(٥٥) انظر: الفصل الرابع

(٥٦) محكمة مصر القديمة: س١٠٤، م٢٣١، ص٩٨

(٥٧) نفسه: م١٨٢٠، ص١٤٧٣

(٥٨) عبد الحميد حامد سليمان: تاريخ الموانئ المصرية فى العصر العثمانى، ص٣٤٥

(٥٩) جبخانة: موضع حفظ الأسلحة النارية - الجبجى: هو العسكرى الذى كان قديماً يلبس الدروع. انظر: محمد على الأنسى: الدرارى اللامعات فى منتخبات اللغات، بيروت، ١٩٠٠، ص١٨٧، وكذلك أحمد السعيد

سليمان : المرجع السابق، ص٦٥

(٦٠) محكمة مصر القديمة : س٩٨ ، م٢٥٧ ، ص٧١

(٦١) محكمة مصر القديمة : س٩٨ ، م٣٣٢٢ ، ص٨٩٢

(٦٢) جب وبوون : المرجع السابق، ص٩٧

(٦٣) محكمة مصر القديمة : س١٠٢ ، م٩٣٣ ، ص٣٦٨

(٦٤) محكمة مصر القديمة : س١٠٤ . م٦٢ ، ص٢٢

(٦٥) محكمة مصر القديمة : س٩٩ ، م٢٢٦ ، ص٧٠

(٦٦) محكمة مصر القديمة : س٨٤ ، م٣٢٧ ، ص١٧٥ لسنة ٩٣٤هـ

(٦٧) محكمة بولاق : س٤٢ ، م٧٦٦ ، ص٥٥

(٦٨) نيفين مصطفى حسن : رشيد فى العصر العثمانى . دار الثقافة ، ١٩٩٩ . ص٨٥

(٦٩) محكمة الإسكندرية : س١٤٩ ، م٤٠ ، ص١٥ لسنة ١٠٥٢هـ

(٧٠) دشت ١١٥ لعام ١٠٠٨هـ ، ص٣١

(٧١) نبيل عبد الحى رضوان : تطور الأسطول العثمانى ، مجلة المؤرخ المصرى العدد ٢٠ - يوليو ١٩٩٨ . ص٢٣٧

(٧٢) محكمة مصر القديمة : س١٠٥ ، م٢٦ . ص٩ - ومن الجدير بالذكر هو أن جماعة الجلافطة قد انتشروا أيضا بمصر القديمة خلال القرن خاصة فى منطقة دار النحاس والجلافطة - كما يحدد وظيفتهم بالضبط عبد الحميد سليمان " مهمتهم سد المركب بالألواح الخشبية وإحكامها ثم تأمينها من تسرب المياه وذلك بأن يدفع بالكتان فى الفجوات والفراغات التى بين الألواح ثم يطلى المركب بعد ذلك بالقار . عبد الحميد حامد سليمان : الملاحة النيلية فى مصر العثمانية ، الهيئة العامة للكتاب ، ٢٠٠٠ ، ص٢١

(٧٣) محكمة مصر القديمة : س١٠٢ ، م٩٢٣ ، ص٣٦٤ ، وكذلك س١٠٤ ، م٢١٥٤ ، ص١٥٨١

(٧٤) محكمة مصر القديمة : س١٠٤ ، م٤٥٢ ، ص١٦٦ لسنة ١٠٨٢هـ

(٧٥) محكمة مصر القديمة : س١٠٤ ، م١١٦٧ . ص١٠١١

(٧٦) محكمة مصر القديمة : س١٠٤ ، م١٩٠٦ ، ص١٥٠٠

(٧٧) قسمة عسكرية : س٥٥ ، م٣٥٨ ، ص٢٦٣

(٧٨) محكمة مصر القديمة : س١٠٢ ، م٥٨٣ ، ص٢١٧

(٧٩) محكمة مصر القديمة : س١٠٢ ، م١٢٦ ، ص٤٤

(٨٠) محكمة مصر القديم : س٩٢ ، م١٦١٩ ، ص٢٨٨

(٨١) محكمة مصر القديمة : س١٠١ ، م٧٤٤ ، ص٢٨٠

(82) P. Vanslb: Voyage en Egypte en (1672-1673). P125

(٨٣) جومار : المصدر السابق ، ص٢٥٤

(84) P. Vanslb: Op. Cit. p125

(٨٥) دشت ١٥٩ لسنة ١٠٥١هـ، ص٧٧

(٨٦) محكمة قناطر السباع : س١٣٦ ، م١٢٨٣ ، ص٣٤٤ لسنة ١٠٩١هـ

(٨٧) نفســه : م١٢٨٣ ، ص٣٤٤

(٨٨) محكمة مصر القديمة : س١٠٤ ، م١٥٧ ، ص٧٣

(٨٩) محكمة مصر القديمة : س١٠٢ ، م١٤٨٣ ، ص٥٧١

(٩٠) كل قنطار من ذلك ١١٠ أرطال. وقد اعتمدنا في وضع هذا الجدول على تسعيرة من أبواب الحسبة على لسان نقيبها بمصر القديمة لأعوام (٩٧٨-٩٩٣هـ) ثم لم يطرأ عليها تغيير كبير خلال القرن السابع عشر بناء على تسعيرة اعتمدنا عليها في محفظة دشت ١٢٤ لسنة ١٠١٥هـ، ص٣٥ وغيرها.

(٩١) جومار : المصدر السابق ، ص٢٥٦

(٩٢) محكمة مصر القديمة : س١٠١ ، م٧١٨ ، ص٢٧١

(٩٣) محكمة مصر القديمة : س١٠٥ ، م٣٨١ ، ص١٢٩

الخاتمة

جاءت دراسة تاريخ مدينة مصر القديمة خلال القرن السابع عشر على قدرٍ كبير من الأهمية فقد تكشف لنا ذلك من خلال التعمق في تاريخها حيث تثبت هذه الدراسة إنه من الصعب الآن أن نسقط هذه المدينة من ذاكرة التاريخ بعدما كشف النقاب عنها وفرضت نفسها على خريطة العصر العثماني.

فتبين لنا هذه الأطروحة أن نغمة الخراب والدمار الذى سيطر على المدينة قد استمر بها على فترات تاريخها المديد الأمر الذى جعلنا نسقطها من الذاكرة نغمة أصبحت غير ذات معنى وتحتاج إلى مراجعة وافية فقد أثبتت الدراسة بما لا يدع مجالاً للشك أن مصر القديمة قد شهدت العديد من محاولات العمران بها طوال القرن. كذلك حسمت الدراسة عدة أمور تضاربت حولها الأقوال منها وضع

اسم معين لمصر القديمة، هل هي مصر القديمة؟ أم مصر العتيقة ؟ أم بابليون ؟ ومتى ظهر هذا المسمى ؟ وكذلك تحديد ما إذا كنا نطلق عليها "حي" أم "مدينة" . فأثبتت البراهين التي توصلت إليها الدراسة أنها مدينة وليست حيًا .كما يردد بما تمتلكه من ميناء خاص وجمرك ضخم يستقبل السفنْ والبضائع الواردة إليها سواء من داخل مصر أو من بلدانٍ خارجية . إضافة إلى ظهور العديد من الصناعات بها وهو أمر من الأمور الفريدة كشيء يذكر في مدينة ظلت لسنواتٍ في طي النسيان نتمنى أن تكون الدراسة قد وضعتها في دائرة الضوء وعلى مائدة التاريخ .

كذلك تنفرد الدراسة بوضع خريطة هي الأولى من نوعها لمنطقة مصر القديمة مستخرجة من ثنايا بطون السجلات والوثائق المتفرقة توضح خطط المدينة وأسماء الحارات وبعض الدروب داخل كل خط منها . في محاولةٍ متواضعة من جانبنا لوضع تصور للمنطقة يوضح أماكن العمران الذى حدث مقارنةَ مع أماكن الحفر التي جرت بها سواء من على بهجت وألبير جبرييل أو غيرهما . وترجع قيمة الخرائط التي وضعناها إلى أنه قد ثبت أن أول خريطة وضعت للقاهرة زمن قايتباي أواخر ق١٥ / ٩م ولم تصل إلينا . ثم وضع الأب سيكار خريطة عام ١٧١٥م للقاهرة العثمانية ولم تنشر هذه الخريطة للأسف، وما زالت محفوظة في المكتبة الأهلية في باريس . إذن أولى الخرائط الكاملة والجيدة التي تصور القاهرة هي خريطة «وصف مصر» لعلماء الحملة الفرنسية، من هنا جاءت الخريطة التي وضعناها في ق١٧ .

وعلى الله قصد السبيل

قائمة المصادر و المراجع

أولا : الوثائق غير المنشورة.

أ . دفاتر الروزنامة والترابيع :

* دفتر مال وارد إلى الخزينة العامرة من أقلام سنة ١١١١هـ ، عين ٢٩ ، مخزن تركى ١ ، رقم الحفظ النوعي ٦ ، سجل رقم ٢١١١ .

* دفتر تربيع ولاية فيوم وبهنساوية واجب سنة ٩٣٣هـ، فيوم ناحية رقم ١٢٧

* دفتر مقاطعة احتساب . عين ١٧ ، مخزن تركى١ رقم الحفظ النوعي ١٠ ، سجل رقم٥٢٥٣

* دفتر مال الأسكلات ومقاطعات بنفس المحروسة · قلم شهر ١٠٣٦هـ ، عين ٥٣ ، مخزن تركى ١ ، رقم الحفظ النوعي ١ ، مسلسل عمومي ٤١٣٩

* دفتر أصول مال جمارك ومقاطعات ومال أسكلة رمقاطعات - قلم شهر در واجب ١٠٨٨هـ. مخزن تركى ١ ، رقم الحفظ النوعي ٢ ، مسلسل عمومي ٤١٤٠ .

* دفتر مال أسكلة ومقاطعات -قلم شهر در واجب ١٠٨٩هـ، مخزن تركى ١ ، رفم الحفظ النوعي ٣ ، مسلسل عمومي ٤١٤١ .

* دفتر أصول مال أسكلة ومقاطعات ، عين ٥٣ ، مخزن تركى ١ ،

رقم الحفظ النوعي ٧ ، مسلسل عمومي ٤١٤٥ .

* دفتر مقاطعة احتساب باب الأوجاقات بإسكندرية وبولاق وتوابعها ، عين ١٧ ، مخزن تركى ١ ، رقم الحفظ النوعي ١٠ ، مسلسل عمومي ٥٢٥٣ .

* دفتر إيرادات الجمارك (مقاطعات أسكلة بولاق ومصر القديمة) لسنة ١١٠٩هـ ، عين ٥٣ ، مخزن تركى ١ ، رقم الحفظ النوعي ١١ ، مسلسل عمومي ٤١٤٩ .

ب . حجج شرعية (الأمراء والسلاطين) :

* حجة وقف الشيخ أبى السعود الجارحي بتاريخ ١٤ رجب ٩٢٤هـ - تحت رقم ٢٨٧ بدار الوثائق القومية .

جـ . سجلات المحاكم الشرعية :

* محكمة مصر القديمة : سجل (٨٤ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥) وتغطى الفترة الزمنية من ٩٣٥هـ١٥٢٨ /م إلى ١١٠٨هـ١٦٩٦ /م .

* محكمة الباب العالي : سجل (٧٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ١٠٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٦٠ ، ١٦٥ ، ١٧٣) وتغطى الفترة الزمنية من ١٠٠٩هـ١٦٠٠ /م وحتى ١٠٩٩هـ١٦٨٧ /م .

* محكمة بولاق : سجل (١٩ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٨) وتغطى الفترة الزمنية من

١٠٠٣هـ١٥٩٤ /م حتى ١٠٩٩هـ١٦٨٧ /م.

* سجلات الدشت: سجل (٤، ١١، ٥٥، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٢١، ١٢٣، ١٢٤، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٥، ١٥٩، ١٦١، ١٦٦، ١٧٤) وتغطي الفترة الزمنية من ٩٣١هـ١٥٢٤ /م حتى ١٠٦٥هـ١٦٥٤ /م.

* محكمة قناطر السباع: سجل (١٢٦. ١٣٠، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦) وتغطي الفترة الزمنية من ١٠١٥هـ١٦٠٤ /م حتى ١٠٩٣هـ١٦٨٢ /م.

* محكمة البرمشية: سجل (٧١٠، ٧١١، ٧١٤) وتغطى الفترة الزمنية من ١٠٢٥هـ١٦١٤ /م حتى ١٠٨٨هـ١٦٧٧ /م.

* محكمة القسمة العسكرية: سجل (٥٥، ٦٣) ويغطيان الفترة الزمنية من ١٠٥٧هـ١٦٤٦ /م حتى ١٠٦٩هـ١٦٥٨ /م.

* محكمة الزاهد: سجل (٦٨١. ٦٨٢) ويغطيان الفترة الزمنية من ١٠٩٢هـ١٦٨١ /م حتى ١١٠٢هـ١٦٩١ /م.

* محكمة طولون: سجل ٢٠١ لسنة ١٠٥٩هـ١٦٤٨ /م.

* محكمة دمياط: سجل ١٠٢ لسنة ١٠٦٢هـ١٦٥١ /م.

* محكمة الإسكندرية: سجل ١٤٩ لسنة ١٠٥٢هـ١٦٤١ /م.

ثانيًا: الوثائق المنشورة.

* قانون نامة مصر، الذى أصدره السلطان سليمان القانوني لحكم مصر، ترجمة أحمد فؤاد متولى، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٦م.

ثالثًا : المخطوطات.

* حسن بن عمار بن على الوفائى الشربنلى : غنية ذوى الأحكام في بغية درر الأحكام، جـ١ ، جـ٢ . دار الكتب ، فقه حنفى طلعت ٨١١ ، ٨١٢ ، ميكروفيلم ٩٢٦٦ ، ٩٢٦٧

* على الأجهورى : رسالة في المغارسة ، دار الكتب ، فقه مالك ٣٦ ، ميكروفيلم ١٦٧٢٣

* ـــ : أسئلة وردت من المغرب وأجوبتها ، دار الكتب ، فقه مالك ٣٩ ، سيكروفيلم ٤٢٠٢٤ .

* عبد الملك العصامي : رسالة في تحريم الدخان ، دار الكتب ، فقه مالك ٣٨ ، ميكروفيلم ٤١٩٠٤ .

* مجهول : قطعة من تاريخ مصر إلى العثمانيين ، تاريخ تيمور ٢٦٤١ ، ميكروفيلم ٢٧٩٦٢ .

* مجهول : مجموعة من مدائح للسيد المسيح والسيدة العذراء ، دار الكتب ، لاهوت ٦٩٠ ، ميكروفيلم ٤٨١٧٤ .

* مجهول : تاريخ ملوك آل عثمان وولاتهم بمصر إلى ولاية على باشا المتولي عليها ، دار الكتب ، تاريخ تيمور ٢٤٠٨ ، ميكروفيلم ٤٩٨٤٧ .

* ـــ: الروضة المأنوسة في أخبار المحروسة ، دار الكتب ، تاريخ تيمور ٢٥٢٤ ، ميكروفيلم ٣٤٣٢١ .

* ـــ: قطف الأزهار من الخطط والآثار ، دار الكتب ، جغرافيا ٤٥٧ ، ميكروفيلم ٤٥٨٥٢ .

* مرعى بن يوسف الحنبلى : نزهة الناظرين في تاريخ من ولى مصر من الخلفاء والسلاطين، تاريخ تيمور ٣٠٣ ، ميكروفيلم ١٣٣٠٣ .

رابعًا : المصادر العربية.

* ابن حوقل : صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٨م.

* ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور، جـ ٥ ، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، ١٩٦١م.

* إبراهيم بن أبى بكر الصوالحي : تراجم الصواعق في واقعة الصناجق، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن، المعهد الفرنسي بالقاهرة، ١٩٨٦م.

* استيف : النظام المالي والاداري في مصر العثمانية . وصف مصر، جـ٥ ، ط١ ، مكتبة الخانجي ١٩٧٩م.

* المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، ط٢ ، ١٩٩٠م.

* تقى الدين أحمد بن على المقريزي : المواعظ والاعتبار في ذكر بذكر الخطط والآثار، ٤ أجزاء، مكتبة الآداب ١٩٩٦م.

* جون أنتيس : مذكرات رحالة عن المصريين في الربع الأخير من ق١٨ (١٧٧٠-١٧٨٢) ؛ ترجمة سيد الناصري.

* جومار : وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، ترجمة أيمن فؤاد سيد، مكتبة الخانجي، ١٩٩٨م.

* حسين أفندي الروزنامجي : ترتيب الديار المصريةيمن فؤاد ، مجلة كلية الآداب، مجلد ٤ ، جـ٢ ، ١٩٣٦م.

* عبد الرحمن بن نصر الشيرزي : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق السيد الباز العريني ، ط١ ، درا الثقافة ، ١٩٨١

* عبد الغنى بن إسماعيل النابلسي : الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر الحجاز، تحقيق أحمد عبد المجيد ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٦م.

* محمد بن أبى السرور البكري : النزهة الزهية في ذكر أخبار مصر والقاهرة المعزية ، تحقيق عبد الرازق عيسى ، العربي للنشر والطبع ، ط١ ، ١٩٩٨م.

* فولني : ثلاثة أعوام في مصر وبر الشام ، ترجمة إدوارد البستاني ، منشورات دار المكشوف ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٤٩م.

* يوسف بن الوكيل الملواني : تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب ، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن ، ١٩٩٨م.

خامساً: المصادر الأجنبية.

*Albert, Jacques: Estat De L'Egypte, 1643, en Voyages en Egypte Des annees 1634-1636, [IFAO], Le Caire 1974

* Amarison: Voyage en Egypte 1697, Imprimé en 1976, Francais.

* Arocchatta: Voyage De 1599, Imprimé en 1976,

Francais.
* Belon, Pierre: Le Voyage en Egypte 1547, Le Caire 1969.
* Blunt, Henry: L eVoyage en Egypte, 1634, [IFAO], Le Caire 1974
* Bremond, Gabriel: Voyages en Egypte, 1643-1645, [IFAO], Le Caire, 1974
* Combe, Etienne: L'Egypte Ottomane Le Conquete par Selim "1517" L'Arrivee De Le Ponaparte (1798)
* Costele, Henry: Voyage De "1600-1601", Imprimé en 1981, Francais.
* Fermanel, G. Et Stochove, V: Voyages en Egypte, 1631, [IFAO], Le Caire, 1975
* Gonzales. A: Le Voyage en Egypte, 1665-1666, [IFAO], t.I, Le Caire, 1977.
* Lichtenstein, H. L. Von: Voyage De Lichtenstein en 1587, en Voyages en Egypte Des annees 1587-1588 Trad. De L'allemand Par. u. Castel, [IFAO], Le Caire, 1972.
* M. T. E. Thevenot: Voyage De L'Event A Pris, 1981
* Neitzschitz, G: Voyage en Egypte, 1636, en Voyages

en Egypte Des annees 1634-1635 et 1636, [IFAO], Le Caire, 1974.

* Ovington: Voyage De "1689", Imprimé en 1981, Français.

* Pitts, Goseph: Voyage De "1685", Imprimé en 1981, Francais

* Sandys: Voyage en Egypte "1611", Imprimé en 1981, Francais.

* Vanslb: D' Vn Voyage Fait en Egypte en (1672-1673), Imprimé en 1981, Francais.

* Wild, Johann: Voyage en Egypte "1610-1616", Imprimé en 1975, Francais.

خامساً: المعاجم:

* عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٩٩٧م.

* محمد علي الأنسي: الدراري اللامعات في منتخبات اللغات، بيروت، ١٩٠٠م.

* المعجم الوجيز: الطبعة الخاصة بوزارة التربية والتعليم، ١٩٩٣م.

سادساً: المراجع العربية والمعربة:

* أبو الحمد محمود فرغلي: الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية

والقبطية في القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٠م.

* أبو اليسر فرج: النيل في المصادر الإغريقية، مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، ١٩٩٥م.

* أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها، دار المعارف، ١٩٦١م.

* السيد رجب حراز: المدخل إلى تاريخ مصر الحديث، القاهرة، ١٩٧٠م.

* أندريه ريمون: المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر، ط١، القاهرة ١٩٩١م.

* ـــ: القاهرة تاريخ حاضرة، ترجمة لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر، ط١، القاهرة ١٩٩٤م.

* أيمن فؤاد سيد: التطور العمراني للقاهرة، مؤسسة الفرقان للتراث.

* ـــ: مسودة كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار للمقريزي، مؤسسة الفرقان للتراث، لندن، ١٩٩٥م.

* ـــ: المدينة الإسلامية والدراسات الحديثة التي تناولتها. بحث في المجلة التاريخية، العدد ٤٠، عام ١٩٩٧، ١٩٩٩م.

* جب وبوون: المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، جـ١، دار المعارف، ١٩٧٠م.

* جرجي زيدان: مصر العثمانية، تحقيق محمد حرب، دار الهلال، العدد ٥١٧، ١٩٩٤م.

* حسن عثمان: مصر في العهد العثماني في المجمل في التاريخ، ط١، القاهرة، ١٩٤٢م.

* خالد عزب: الفسطاط أولى عواصم مصر الإسلامية، مقال مطبوع ضمن مقالات الهيئة العامة لقصور الثقافة للاحتفال بمرور ١٤٠٠ سنة على دخول الإسلام مصر، القاهرة، ١٩٩٩م.

* ستانلي لينبول: سيرة القاهرة، ترجمة حسن إبراهيم حسن، علي إبراهيم حسن، هيئة الكتاب، ١٩٩٧م.

* سعاد ماهر: تطور العمائر الإسلامية بتطور وظائفها، مقال بالمجلة التاريخية، مجلد١٨، ١٩٧١م.

* سيد الناصري: الإغريق تاريخهم وحضارتهم، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١، ١٩٧٦م.

* عاصم محمد رزق عبد الرحمن: مراكز الصناعة في مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى مجيء الحملة الفرنسية، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٩م.

* عبد الحميد يونس وآخرون: دائرة المعارف الإسلامية، مجلد ٤.

* عبد الرحمن زكي: القاهرة تاريخها وآثارها، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.

* عبد الرحيم عبد الرحمن: الريف المصري في القرن الثامن عشر، مكتبة مدبولي، ط٢، ١٩٨٦م.

* عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى

عليها، جـ١، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٦م.
* عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني حتى حملة بونابرت (١٥١٦-١٧٩٨)، دمشق، ط٢، ١٩٦٨م.
* عفاف مسعد السيد: دور الحامية العثمانية في تاريخ مصر (١٥٦٤-١٦٠٩)، تاريخ المصريين رقم ١٧٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.
* علي بهجت وألبير جبرييل: حفريات الفسطاط، دار الكتب، ١٣٤٧هـ١٩٢٨/م.
* علي مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر، جـ١، جـ٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.
* عماد بدر الدين أبو غازي: تطور الحيازة الزراعية زمن المماليك الجراكسة، عين للدراسات والبحوث، ط١، ١٩٩٦م.
* فتحي محمد مصلحي: تطور العاصمة المصرية والقاهرة الكبرى، القاهرة، ١٩٨٨م.
* كامل صالح نخلة: تاريخ البباوات بطاركة الكرسي الإسكندري، الحلقة الأولى، ط١، ١٩٥١م.
* لوسيان فيفر: الأرض والتطور البشرى، ترجمة محمد السيد غلاب، دار المطبوعات الجديدة، القاهرة، ط٢، ١٩٠٢م.
* ليلى عبد اللطيف: الإدارة في مصر في العصر العثماني، القاهرة، ١٩٧٨م.
* ــــ: المجتمع المصري في العصر العثماني، دار الكتاب الجامعي،

ط١ ، القاهرة، ١٩٨٧م.
* ـــ: دراسات في تاريخ ومؤرخي مصر والشام إبان العصر العثماني، مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٨٠م.
* محمد السقا : تاريخ الشرائع القديمة في الشرق والغرب، دار النهضة العربية، ١٩٩٥م.
* محمد رمزي : القاموس الجغرافي، ٤ أجزاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.
* محمد عفيفي : الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني، تاريخ المصريين، عدد ٤٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م.
* ـــ: الأقباط في العصر العثماني، تاريخ المصريين ٥٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.
* محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية، مكتبة الآداب، (د.ت).
*محمد فهمى لهيطة : تاريخ مصر الاقتصادي في العصر الحديث، دار النهضة المصرية، ١٩٤٥م.
* محمد محمد الكحلاوي : آثار مصر الإسلامية في كتابات المغاربة والأندلسيين، الدار المصرية اللبنانية، ط١ ، ١٩٩٤م.
* محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر "١٢٥٠-١٥١٧م" ، دراسة تاريخية وثائقية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١ ، ١٩٨٠م.
* محمد مختار باشا : التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ

الهجرية بالسنة الإفرنكية والقبطية، تحقيق محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، (د.ن).

*محمد مختار: بغية المريد في شراء الجواري وتقليب العبيد، القاهرة، ١٩٩٦م.

* محمد نور فرحات: القضاء الشرعي في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م.

* نيللي حنا: بيوت القاهرة في القرنين السابع عشر والثامن عشر (دراسة اجتماعية معمارية)، ترجمة حليم طوسون، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩١م.

* نيفين مصطفى حسن: رشيد في العصر العثماني، دار الثقافة، ١٩٩٩م.

سابعًا: المراجع الأجنبية.

*Gamal El- din El - Shayyal: Some Aspects of Intellectual And Social Life in Eighteenth-Century Egypt.

* Michel Tuchsherer: La Flotte Imperiale De Suez "1594-1719" Turcica 1997.

* Nelly Hanna: Construction Work in Ottoman Cairo "1517-1798" Le Caire 1984

* P. Holt: Poltical and Social Change in Modern Egypt. London. 1958 - Quartiers et Nouvements Populaires au Caire ou XVIII Siecle. Andre. Roymond.

المحتوى

للنشر في السلسلة :

* يتقدم الكاتب بنسختين من الكتاب على أن يكون مكتوباً على الكمبيوتر أو الآلة الكاتبة أو بخط واضح مقروء. ويفضل أن يرفق معه أسطوانة (C.D) أو ديسك مسجلاً عليه العمل إن أمكن.
* يقدم الكاتب أو المحقق أو المترجم سيرة ذاتية مختصرة تضم بياناته الشخصية وأعماله المطبوعة .
* السلسلة غير ملزمة برد النسخ المقدمة إليها سواء طُبع الكتاب أم لم يطبع .

صدر مؤخراً في سلسلة

حكاية مصر

تقع مصر القديمة على الضفة الشرقية لنهر النيل ، ومن ملحقاتها جزيرة الروضة التى يفصلها عنها أحد أفرع النهر ، ولذلك هي ذات موقع جغرافى متميز ، تطل على منفذ مائي سهل عليها الاتصال بالخارج ونشر العمران فى ربوعها.

الغلاف: د. خالد سرور

www.gocp.gov.eg

الثمن : جنيهان